



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

ديوان الشاعر الأمير عبدالقادر الجزائري



جمع وتحقيق
الدكتور العربي دحو
راجعة
الدكتور محمد رضوان الداية

ديوان
الشاعر الأمير
عبد القادر الجزائري

جمع وتحقيق
الدكتور العربي دحو
راجعه
الدكتور محمد رضوان الداية

أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعته الباحث
في الأمانة العامة للمؤسسة إيهاب النجدي

تصميم الغلاف والإخراج الداخلي: محمد العلي

الطباعة والتنفيذ: أحمد متولي - أحمد جاسم

حقوق الطبع محفوظة

تلفون: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

2 0 0 0

تصدير

الأمير عبدالقادر الجزائري صوت فذ من أصوات العروبة والجهاد في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، فقد كانت سيرة حياته بخطوطها القريبة والبعيدة ترجمة أمينة لتألف الوجدان العربي، مشرقه ومغرب، وشوقه للخلاص من سطوة الجهل والخرافة وعبادة الذات القبلية.

والمأمل في دفتر هذه الحياة يعجب، ويتساءل: كيف حفلت حياة واحدة بما يمكن أن تحفل به حيوات عدة؟ وكيف اتسعت لكل تلك الحوادث المتباينة الشؤون والشجون؟ وكيف نظم في سلك واحد بين الإمارة والفقة والجهاد والشعر والسيف والصوفية؟ والفارس العاشق نفسه أمسك بلحظة من تلك اللحظات المدهشة فقال:

ومن عجب تهاب الأسد بطشي
ويمننني غزالاً عن مرادي

ولا يعنيها - هنا - أن هذا البيت موصول بالبيت القديم:
نحن قومٌ تذيبنا الأعينُ النجل
على أننا نذيبُ الحديد

بقدر ما تعيننا دلالاته على تلك الشخصية الثرية، التي جمعت في إهابها ألواناً من المكرمات، ومنحت عصرها كثيراً من التجليات.

والصور التي يمكن للإنسان أن يقف أمامها في حياة هذا الأمير المناضل أجلّ من أن تحصيها كلمات عجل، لكن الوجه الشعري - وهو من أصدق وجوهه - يظل في حاجة إلى التطلع إليه وقراءته والتعاطف معه، ويأتي هذا التحقيق الجديد لديوانه ملبياً لهذه الحاجة، كما يأتي استلهاماً لقيم البطولة والعروبة والتسامح، وتواصلاً للوعي المعرفي بأدوات التحقيق العلمي.

ويضم هذا الديوان - لأول مرة - كل شعر الأمير ، بما في ذلك أشعاره في «المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد» و«المذكرات» رغم ما بدا فيها من ملامح الضعف الفني ، فلم يسقط المحقق منها شيئاً ، التماساً للموضوعية ، وتصديقاً للهدف الأساسي من إعادة طبعه وهو «الجمع والتحقيق» ، لذا نجد - بوضوح - في هذه الطبعة النص على مواضع الاختلاف في الطبعات السابقة ، وشكل الأبيات والالتفات إلى المعاني المقتبسة من القرآن الكريم والموروث الأدبي القديم ، مما أكسب الهوامش لونا من الجدية في التناول .

لا يتبقى لي - وأنا أقدم هذا الديوان حفيماً به ومغتبطاً له - إلا أن أذكر شاكراً جهود إخوة كرام أسهموا جميعاً في إخراج هذا الديوان / الرمز ، وأخص بالذكر المحقق الدكتور العربي دحو ، والمراجع الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية .

إنها التحية للأمير عبدالقادر الجزائري ، تجدها مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، إذ تصدر ديوانه في دورتها السابعة ، دورة «أبوفراس الحمداني» تلك الدورة المميزة اسماً وزماناً ومكاناً .

وبالله التوفيق ، ،

عبدالعزیز سعود البابطين

أغسطس ٢٠٠٠

مقدمة

إن الاهتمام بتراثنا الثقافي العربي بعامة ، والشعري منه بخاصة يعد من الضروريات - ولا شك - فلقد قيل قديماً : «الشعر ديوان العرب» ويغدو ذاك الاهتمام من أوجب الواجبات حين يكون ممثلاً لشخصيات بارزة في وطننا العربي ، وعالمنا الإسلامي ، كان لها ما كان من الحضور المتميز في الوجدان العربي والإسلامي لسبب من الأسباب أو لعدة أسباب ، والأمير عبدالقادر الجزائري الذي أقدم ديوانه اليوم للقارئ العربي بخاصة ، والقارئ أياً كان بعامة ، لهو من الأسماء التي تشغل مساحة محترمة في الذاكرة العربية ، والإسلامية ، والإنسانية ، ما يعني أن العودة إلى أعماله ، ومنها ديوانه الشعري تظل متواصلة ، لأنها حتى الآن لم تأخذ العناية جمعاً وتحقيقاً ودراسةً ونشراً ، وصاحبها شغل الآفاق بحياته ، المملوءة جهاداً وإبداعاً ، وسلوكه الإنساني الذي غدا مضرب مثل عند العدو قبل الصديق .

ومن هنا - إذ أعود مجدداً إلى ديوانه مخرجاً إياه بالصورة التي هو عليها - فإن الفضل كل الفضل يعود إلى الأستاذ الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين الذي شرفني بإعادة تحقيقه بمناسبة الاحتفاء بالشاعر الأمير على هامش الدورة السابعة للمؤسسة العامة الميمونة المباركة المخصصة هذه السنة لـ «أبي فراس الحمداني» ، إذ لولا فضله ، وكرمه وتشجيعه الدائم وأسرة المؤسسة لما التفت إلى الديوان ، ولا إلى صاحبه على الرغم من إنجاز بحث متواضع عنه ، وعن شعره في مرحلة اليسانس بجامعة قسنطينة .

ولعلي أكون - وأنا أقدم الديوان مجدداً كما أسلفت - قد استفدت كثيراً من جهود الذين سبقوني في إخراجه ، وهو مالا يخفى على أحد ، ولا يجحد بحال من

الأحوال ، كما أتمنى أن أكون قد فتحت آفاقاً ، أو أفقاً - على الأقل - أمام من يتناول الديوان لاحقاً ليضيف ما يضيف ، ويقوم ، ما يقوم ويلغي ما يلغي بحسب ما ينتهي إليه جهده واجتهاده من مستجدات ، أو آراء في أي مستوى كان .

وإذا كان المؤلف أن كل عمل علمي يعتمد فيه على منهج من المناهج ، وكان هذا العمل محدداً في التحقيق ، فإن السائد - حتى الآن - في هذا الحقل لا يتجاوز منهجين بارزين هما :

- ١ - اعتماد نسخة وعرض بقية النسخ عليها ، والتنويه إلى الخلافات الموجودة بينها .
- ٢ - أو صناعة نسخة بالاعتماد على النسخ المتوفرة في حالة عدم إمكانية تحقيق المنهج السابق لأسباب تحول دون ذلك ، وهذه الطريقة ، أو هذا المنهج يعتمد في الغالب عندما لا توجد نسخ للأثر العلمي المقصود تحقيقه ، مع غض النظر عن المنهج المعتمد في جمع المادة من مصادر مختلفة عندما لا توجد أي نسخة لذلك الأثر ، وهو ما لا نحتاجه مع ديوان الأمير عبدالقادر الذي نشر أكثر من مرة ، بجهود عدد من المحققين ، الأمر الذي جعلنا نختار منهج اعتماد نسخة من نسخ الديوان ، والمقارنة بينها وبين بقية النسخ الأخرى ، مع التنويه إلى الخلافات الموجودة بينها ، وتخريج ما لم يخرج عند من سبقنا وتوثيق غير الموثق ، وشرح غير المشروح ، إلى غير ذلك من الملاحظات والتنويهات التي يتابعها القارئ في مظانها في المتن أو في الهامش ، مما يعني أننا لم نسرف في التقيد الصارم بمنهج واحد كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، سعياً إلى الاقتراب من الكمال الذي يظل منشداً أبداً .

وبهذا المنهج الذي استأنسنا به انتهينا إلى أن تكون مواد الديوان محددة في شكله هذا ، والذي احتوت دفئا سفره على المقدمة ، وترجمة الشاعر بقلم ابنه الأمير محمد باشا والتعريف بنسخ الديوان المنشورة ، ثم شعره الذي عد مكوناً لديوانه عند من

تقدمنا، تلا ذلك ملحقان: الأول وفيه جمعنا شعره الموجود في «المواقف»، والذي أبعد جلّه عن الديوان، والثاني وقد خصصناه لقصيدتيه الواردتين في مذكراته عن مدينة «طولون»، ورحلته إلى «بو» في أثناء وجوده بفرنسا، ثم أنهيناه بفهارس الأعلام، والأماكن، ومطالع القصائد والقوافي، وقائمة المصادر والمراجع، والفهرس العام.

وأملنا أن نكون قد حققنا بعض أهداف المؤسسة الراعية لإصدار الديوان، فإن كان ذلك فهو الحلم والمنى، وإن لم يكن فإننا قد اجتهدنا، وليس في الإمكان أبدع مما كان، وعذرنا كل عذرنا في الوقت القصير الذي أنجزنا فيه العمل.

والله من وراء القصد فهو نعم الولي ونعم النصير.

— |

| —

— ^ —

— |

— |

ترجمة الناظم رحمته الله

بقلم: الأمير محمد ولد الشاعر

هو فرع الشجرة الزكية، وبدر العصابة الحسنية. إنسان عين السادة الأخيار، وعقد جيد القادة الأبرار. صدر الشريعة بل تاجها، بدر الحقيقة بل معراجها، نخبة آل بيت اشتهرت بالشرف أوائلهم وأواخرهم، وأشرقت في أفق سماء السعادة فضائلهم ومفاخرهم. من عجزت عن حصر أوصافه الأقلام، وتباهت بوجوده الليالي والأيام، وتزينت الطروس بغرر مزاياه ومدائحه، وتلت النفوس آيات الحمد والإخلاص في صحائفه. واسطة عقد الشرف المقتنى، وغصن شجرة المجد المجتنى. كعبة القاصدين، حرم الخائفين، ناصر الدين، الأمير عبدالقادر بن محيي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبدالقادر بن خدة بن أحمد بن محمد بن عبدالقوي بن علي بن أحمد بن عبدالقوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن أحمد بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبدالقوي بن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء. بضعة خير الأنام، عليه أفضل وأكمل السلام.

ولد قدس الله سره في رجب سنة ألف ومئتين واثنين وعشرين ببلدة القيطنة التي اختطها جده بإيالة وهران من أعمال الجزائر ثاني أنجال والده ووالدته السيدة الزهراء بنت السيد عبدالقادر بن دوخه الحسيني تربى في حجر والده وفي مدرسته حفظ القرآن. وأخذ العلم عن أهل العرفان، وفي سنة مئتين وست وثلاثين سافر إلى وهران وحصل، حتى برع في كافة الفنون وكمل، وفي سنة مئتين وإحدى وأربعين سافر منها

براً صحبة والده ذي الكمالات والعلوم الباهرة، قاصدين مكة المكرمة عن طريق القاهرة، وبعد أداء النسك رجعا إلى دمشق الشام، لزيارة الصلحاء والعلماء الأعلام، وأخذ بها عن الولي الصالح الإمام حضرة مولانا الشيخ خالد المجدوي الطريقة النقتبندية (لعلها النقتبندية)، ومنها إلى بغداد وأخذ بها الطريقة العلية القادرية على السيد محمود الكيلاني ثم رجع براً إلى الشام، وآب منها إلى بيت الله الحرام، وبعد أداء المناسك رجع من طريق البر إلى بلدته في السنة الثالثة والأربعين بعد المائتين وفي سنة ست وأربعين قام والده بأمر الجهاد فحارب معه سنتين وفي رجب سنة ثمانية وأربعين بايعه أهل الجزائر أميراً عليهم لاشتهاره بالشجاعة والعلم والبراعة، فباشر الأعمال، وركب الأخطار والأهوال وأقام الإمارة على قدمي الفضل والعدل، وزانها بما يؤيده العقل والنقل، وضرب السكة من فضة ونحاس، وأنشأ المعامل للأسلحة واللباس. وقام بأمر الجهاد ست عشرة سنة، يحارب الدولة الفرنسية ويحمي دينه ووطنه، وأظهر من الشجاعة والبراعة والفتك في كل مجال ما اشتهر في الآفاق وقد بسطت ترجمته في كتابي المسمى بـ«تحفة الزائر في مآثر الأمير عبدالقادر» وكانت الحرب بينهما سجالاتاً(*) وكان يباشر القتال بنفسه ويتقدم أصحابه في المواقف فيرجع وقد ألبسته مخرقة من الرمي بالرصاص ولم يصبه سوى جرح بكتفه وآخر بأذنه ومات تحته عدة خيول ثم هاجمته دولة مراكش من جهة أخرى وبعد محاربات عديدة علم أن التسليم أولى فسلم لدولة فرنسا على شروط مقررة وعهود وذلك في محرم سنة ألف ومئتين وأربع وستين وبقي محجوراً(**) عليه عندها. وفي سنة ست وستين حضر إلى محل إقامته بمدينة إمبواز نابليون الثالث إمبراطور فرنسا وبشره بإطلاق سبيله وأهداه سيفاً مرصعاً ورتب له في كل سنة خمسة آلاف ليرة فرنساوية فتوجه إلى باريس ومنها إلى الآستانة العليا فتشرف بمقابلة ساكن الجنان مولانا السلطان الغازي عبدالمجيد خان طاب

(*) كانت في الأصل: سجال، والتصحيح من عندنا.

ثراه فأكرم وفادته وأحسن مثواه ومنحه في بورسة داراً عظيمة ثم رجع سنة السبعين إلى الآستانة وتوجه إلى باريس ثم رجع إلى بورسة وعزم سنة إحدى وسبعين على السكن بدمشق الشام فارتحل إليها، ثم توجه سنة ثلاث وسبعين إلى زيارة بيت المقدس والخليل وقرأ في شهر رمضان البخاري الشريف في دار الحديث والإتقان والإبريز في مدرسة الجقمقية، واعتكف في شهر رمضان سنة خمس وسبعين بالجامع الأموي وقرأ الشفا والصحيحين في مشهد سيدنا الحسين. وفي سنة سبع وسبعين منحه الدولة العلية النيشان المجيدي من الرتبة الأولى وأهدته أيضاً الدول الفخام نياشينها من الطبقة الأولى نظراً لما أبداه من مساعدة للمسيحيين في واقعة تلك السنة، ثم سافر إلى حمص وحماه وزار سيدنا خالد بن الوليد ومن حل في حماه، وفي سنة ثمانين توجه إلى مكة وأقام بها وبالطائف والمدينة المنورة سنة وستة أشهر وأخذ بمكة الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد الفاسي، وقصد الآستانة سنة اثنتين وثمانين وتشرف بمقابلة ساكن الجنان السلطان الغازي عبدالعزيز خان طاب ثراه فأكرم نزله وأحسن قراه ومنحه النيشان العثماني من الرتبة الأولى، ثم توجه منها إلى باريس فزاد له الإمبراطور على مرتبه السابق ألفين وخمسمائة ليرة إفرانساوية في كل سنة، ودعي إلى مصر سنة ست وثمانين ليحضر احتفال خليج السويس، وقرأ الفتوحات المكية سنة تسع وثمانين مرتين بعد أن أرسل عالمين لتصحيحها على النسخة الموجودة بخط مؤلفها الشيخ الأكبر في قونيه، وأخذ الطريقة العلية المولوية على حضرة الدرويش صبري شيخ الطريقة المولوية بالديار الدمشقية، وكان محافظاً على السنن عاكفاً على شهود الجماعة كثير الصدقات وكان مرتباً راتباً في كل شهر للعلماء الصلحاء والفقراء منتصباً لقضاء حوائج العباد، عاملاً بتقوى الله في السر والجهر، متعبداً على مذهب سيدنا مالك، وتغلغل في آخر عمره في علوم القوم وأظهر من دقائق الحقائق وعوارف المعارف ما يؤذن بسمو مقامه، وكان يصوم شهر رمضان على الكعك والزبيب معتزلاً عن القريب والغريب وله خلوة يتحنن بها في قصر بقرية أشرفية صحنايا، وكان مشغولاً عن مرض وفاته بالمراقبة

والمشاهدة حتى إنه لا أن ولا تأوّه إلى أن انتقل إلى رحمة ربه الكريم في منتصف ليلة السبت لتسع عشرة خلت من شهر رجب سنة ألف وثلاثمائة في قصره بقرية دمر من مرض اعتراه بالكلية والمثانة، مدة خمسة وعشرين يوماً وصلى عليه بالجامع الأموي خلق كثير، وكان له مشهد لم يعهد له نظير، واجتمع في جنازته أمم من جميع الملل ودفن ظهر يوم السبت جوار الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي الحاتمي في حجرته وتوفي عن زوجته ابنة عمه وثلاث جوار جركسيات وجارية حبشية وخلف عشرة أولاد ذكور وست بنات. وكان رحمته الله معتدل القامة عظيم الهامة، ممتلئ الجسم أبيض اللون مشرباً بحمرة أسود الشعر كث اللحية أقنى الأنف أشهل العينين يخضب بالسواد، وله من التأليفات تعليقات على حاشية جده السيد عبدالقادر بن خدة في علم الكلام، وتنبيه الغافل وذكرى العاقل، والمقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد، والمواقف في علم التصوف، وله من الشعر الرائق والنثر الفائق ما يطرب الأسماع ويستهوئ الألباب والطباع وكان يحب اللعب بالشطرنج ويحسن الخياطة سيما خياطة الشبكة. وبالجملة كان إماماً جليلاً عالماً عاملاً نبياً نبياً زاهداً ورعاً مهابةً شجاعاً كريماً حليماً، أوأباً رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه، آمين.

الديوان ونشره

أ - إن أول نسخة نشرت للديوان هي النسخة التي أعدها ابن الشاعر «محمد»، والتي نشرها في دار المعارف بمصر، وعنونها بـ «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر» وهي نسخة لا تحمل تاريخ نشرها، كما لا يذكر لنا معدها للنشر مصادره التي أخذ عنها شعر الأمير، إذ نجد في مقدمته التي لا تتجاوز ثلاثة عشر سطراً، بما فيها «الحمدلة» المعتادة في المقدمات التقليدية المعروفة، والتي استغرقت أربعة أسطر نجد قوله: «أما بعد فيقول المفتقر إلى رحمة مولاه الغني، محمد بن الأمير عبدالقادر الحسيني: قد سنع بفكري أن أرتب ما عثرت من كلام مَنْ في جوامع محامده ركعت غرر الشمائل، وفي محاريب معاليه سجدت جباه الفضائل، وكرع من بحر محيط الشريعة صافي الشراب، وبرع في نشر خفي الحقيقة لما عن الأغيار غاب، سيدي ومولاي ناصر الدين، الأمير عبد القادر بن محيي الدين، ولم أعرض لذكر ماله من النظم في الحقيقة واللطائف، حيث أنه قدس سره أثبتها في كتابه المسمى بالمواقف، لا زالت أحاديث فضله تروى وتسند، وآيات بره بين الملاء تتلى وتشهد، ماذر شارق، ولاح بارق»^(١)

ثم يبدأ في الصفحة نفسها بأول قصيدة من الديوان وهي المعنونة بـ «أبونا رسول الله» إلى آخر نص في النسخة هذه وهي المعنونة بـ «وراء الصورة» والتي نظن أن طابع النسخة نسيتها واستدركها في آخرها، لأننا لا نجد في ترقيم صفحات النسخة الصفحة الثانية.

وقد تميزت نسخة «محمد بن الأمير» التي رمزنا لها في التحقيق بحرف «أ» بأنها الوحيدة التي تحمل عنوان «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر»، ويبدو العنوان

مقترحاً من لدن «محمد» نفسه ، لأنه لو وضعه الشاعر لذكر ، ولأمكن لنا الحصول على نسخة كاملة يكون قد أعدها بنفسه ، وهو ما يستشف ضمناً من رأي «محمد» الذي لم يحدث أن نسب إلى الشاعر هذا العمل ، بل ذهب إلى القول بأن ما قدمه في الديوان هو كل ما وقعت عليه يده من غير الوارد في كتاب المواقف من الأشعار ، وتلك سنتحدث عنها لاحقاً .

وكيفما كان فإن عنوان : «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر» يبدو أنه لم يستحسن من أي محقق آخر ، لذلك لم يثبت في النسخ التي أخرجوها ، فهذا «حقي» يكتفي بعنوان «ديوان الأمير عبدالقادر الجزائري» ، وذاك «صيام» يعتمد عنوان «حقي» نفسه ، وهو ما اعتمدناه من جهتنا مضيفين إليه كلمة الشاعر لأن عنوان «نزهة الخاطر في قريض الأمير عبدالقادر» نراه يصلح للدراسة أكثر مما يصلح للديوان ، وبخاصة في عبارة : «نزهة الخاطر» ، التي توحى بدلالات عديدة .

فإذا تجاوزنا العنوان ، فإننا نسجل أن نسخة «محمد» هذه تخلو من كثير من شروط التحقيق ، فلهوامش فيها منعدمة إلا في حالات نادرة لا تصل عدد أصابع اليد الواحدة ، كما أن الإحالات لا وجود لها ، نهائياً والتوثيق كذلك ، فضلاً عن أنها لم تخضع لمنهج معين في ترتيب القصائد كالمتبوع في كل الدواوين القديمة باعتماد الحروف الهجائية ، أو المنهج الحديث الذي يعتمد فيه البعض على الأغراض الواردة في الديوان مثل ما فعل «حقي» في هذا الجانب ، وما اعتمده «صيام» بخصوص الحروف الهجائية ، وقد كان يمكن أن يعيد الترتيب الذي اعتمده «محمد» إلى تاريخ نظم القصائد ، ولكنها تخلو من ذلك كلياً ، ومع ذلك فإن فضل الأمير «محمد» ، يبقى واضحاً على كل من حاول تحقيق الديوان بعده لأنهم جميعاً استفادوا من عمله ، فاعتمدوه أصلاً في واقع الأمر ، كما فعل ذلك «حقي» ثم «صيام» من بعد مع اختلاف بين المحققين في نقطة واحدة هي استبعاد «حقي» لأشعار «المواقف» ، في تحقيقه ، كما فعل «الأمير محمد» ، وإثبات «صيام» لها في نسخته كبقية أشعار الديوان الأخرى .

كما لا نجد عناوين قصائد الشاعر في هذه النسخة، مثل تلك التي تميزت بها نسخة «حقي» وإنما نجد قبل كل قصيدة أقوالاً مثل: «وقال قدس الله سره، وعمنا فيضه وبره»، و«قال طيب الله ثراه في ابتداء إمارته»، و«قال رضي الله عنه حين استلم مدينة تلمسان من الفرنسيين»، وهكذا مع بقية القصائد، في كامل الديوان الذي يخلو من كل الفهارس العلمية، بما فيها فهرس الموضوعات أو القصائد في حين أثبت في نهايته جدولاً بالأخطاء المطبعية التي وردت فيه.

ب - نسخة الدكتور ممدوح حقي:

تعد نسخة الدكتور «ممدوح حقي» النسخة الثانية التي قدمت للقارئ العربي في حدود ما نملك حتى الآن من المعلومات، وهي نسخة من الحجم الكبير، بالقياس إلى نسختي «الأمير محمد» ونسخة «صيام»، مؤلفة من أربع وأربعين ومائتي صفحة (٢٤٤)، بلغ المعدل المتوسط للأسطر في صفحاتها بين عشرة، واثنى عشر سطرًا (١٠/١٢)، طبعت مرتين، الأولى لا يذكر المحقق تاريخها في مقدمتها، ويبدو أنها كانت في ظل الثورة التحريرية الجزائرية المباركة، والثانية بعد استقلالها سنة ١٩٦٤، بحسب ما ثبت على الغلاف، وقد عنوان الديوان بـ «ديوان الأمير عبد القادر» موضحاً العنوان بعبارته «شرح وتحقيق» تلا الغلافين الخارجي والداخلي إهداءه الكتاب كما أسماه ونصه «إلى الجزائر العربية المجاهدة وأبطالها الميامين، وروح الأمير الشاعر عبد القادر باني شخصية الجزائر الدولية، ومعيدها إلى عروبته الصافية» ثم مقدمة الطبعة الأولى التي شغلت صفحات (٧ إلى ١٧)، فمقدمة الطبعة الثانية والتي اكتفى فيها بصفحة واحدة وفي المقدمة الأولى ذكر بعض النقاط والمحطات عن حياة الأمير عبد القادر، كما أشار إلى تجاوزه أشعاره في الموقف، والتي رأى أنها «خليط عجيب من قوله وقول سواه» وباختصار بخصوص شعر الأمير فإنه وبعد أن ذكر بأن الأمير كان يعتقد أن الشعر من مميزات الفخر، والزينة، قال عن ديوانه:

«وديوانه الذي بين أيدينا - على ما يبدو لي - جزء قليل مما نظمته، جمعه قبلي ولده محمد باشا، وأشار إلى أنه ضرب صفحاً عما قاله في «الحقيقة واللطائف»، وهو يعني بالحقيقة ما وراء الشريعة من التصوف الرمزي، وإني لأعرف له كثيراً من هذا النوع يتناشده رجال الطرق في أذكارهم، على أنني وإن كنت قليل الشك في نسبته إليه، فلا ريب عندي في أنه أصبح خليطاً عجيباً من قوله وقول سواه من الدخلاء على هذا الفن، ومزيجاً غريباً من أقوال متفاوتة الدرجات، وأكثره محطم الوزن، مضطرب المعنى، يشق تخليص بعضه من بعض، وليس من وراء ذلك جدوى فنية ذات قيمة، والذي بين أيدينا فيه الكفاية، ليدل على مستواه في الشعر، وعلى الفنون التي تعاطاها، ومنزلته بين شعراء عصره، وأسلوبه وقدرته... وهو - على العموم - آخر حلقات الشعر المتحدر من القرون الوسطى بكل ما فيه من مزايا وعيوب، وهو إلى النظم أقرب منه إلى الشعر...»^(٢)

فحقي بموقفه هذا من شعر الأمير حدد قصده من إصدار الديوان، فهو لم يبحث عن شعر الأمير كله، كما لم يسع إلى تحقيقه، وتوثيقه بالعودة إلى المصادر التي يمكن أن يستدرك بعضه عن غيره، وبخاصة نسخة «الأمير محمد» ويقارن بين ما في نسخة «الأمير محمد»، وتلك المصادر والمراجع، إذ المستشف من كلامه أنه أراد الوصول بالديوان الذي أعده إلى إعطاء صورة عن شعر الأمير من زوايا تمثيل شخصية الأمير، وعصره، ومستواه الفني، أما وقد تحقق له ذلك من المادة الشعرية التي اكتفى بها في الديوان، فقد استبعد شعر «المواقف» كله ما عدا قصيدة «أستاذي الصوفي» التي أثبتتها كذلك الأمير محمد في الديوان، ونجدها في «المواقف» أيضاً.

أما ما ذهب إليه من بعض الشك في شعر «المواقف» على أنه ليس للأمير، فإن ذلك النزر من الظن عنده قد يعني بعض ما يمكن أن يضاف، أو يدس في ثنايا القصائد ليس إلا، لأن شعر «المواقف» ورد في مظانه كما أراد الأمير عبد القادر نفسه ذلك، كونه المثبت له، والمرتب إياه في الكتاب.

فإذا تجاوزنا المقدمتين وجدنا شعر الشاعر قد اعتمد «حقي» في ترتيبه على أغراضه فجاء وفق هذا التسلسل : «الفخر» ، من (ص ٢١ إلى ص ٥٠) و«الغزل» من (ص ٥١ إلى ص ٧٨) ، و«مساجلات» من (ص ٧٩ إلى ص ١١٨) ، و«مناسبات» من (ص ١١٩ إلى ص ١٨٠) ، و«تصوف» من (ص ١٨١ إلى ص ٢١٤) ، وهو ترتيب تبنى فيه منهجاً يعتمد الموضوعات أساساً لترتيبه وهو ما تبيحه المناهج الحديثة وتقره ، فضلاً عن ذلك ، فإن ترتيب الموضوعات التي نجدها في حد ذاتها بهذه الكيفية ترتيب معلل ، فالفخر مثلاً الذي ابتدأ به هو من الموضوعات التي نجدها حاضرة بكثافة في تعبير الشعوب في مرحلتها الطفولية ، بل وحتى البدائية ، إلى جانب كون صاحب الديوان «الأمير عبدالقادر» مارس التجربة الشعرية في هذا الغرض ، عملياً في مرحلة جهاده الطويلة ، وعلى العموم فإن نسخة «حقي» يلاحظ عليها الآتي :

- ١ - عنونته جميع قصائد الديوان .
- ٢ - كما في نسخة «الأمير محمد» نجد فيها أشعار الشعراء الذين عارضهم الشاعر أو ساجلهم وعددهم ثمانية ، والاكتفاء أحياناً بأبيات منها فقط ، ونجد ذلك في الصفحات ٦٩، ٧٣، ٧٦، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٧، ١٠١، ١٠١، ١٠٦، ١١٨، ١٧٤ .
- ٣ - توظيفه الهامش توظيفاً محدوداً لم يتجاوز بعض الشروح اللغوية ، أو الملاحظات النحوية ، والعروضية .
- ٤ - الإسهاب في التعليق على بعض القصائد .
- ٥ - عدم استعمال فهرس ، عدا فهرس الموضوعات .
- ٦ - عدم تحديد بحور القصائد ، مع بدئها ، أو حتى في فهرسة الديوان .
- ٧ - لا وجود لقائمة المصادر والمراجع .
- ٨ - عدم توثيق كل النصوص التي ذكرها لغير الشاعر ، كما لم يخرج الآيات القرآنية الكريمة ويحققها في الهوامش .

٩ - شكل القصائد محدود جداً نراه لا يفي بالغرض ، ومع ذلك فقد تميزت به النسخة دون نسختي «الأمير محمد» و«صيام» .

إن الملاحظات السابقة التي يستحسن أن تصحب أي تحقيق كان ، والتي تضاف إلى إغفال بعض شعر الشاعر ، كالقصائد التي وردت في «المواقف» ، وفي «مذكراته» أبقت عمل «حقي» مفتوحاً على الاستدراك والإضافة وتوحي كذلك بأن عبارة «تحقيق» التي تصدرت مع العنوان غلاف الديوان لم يمثّلها كما ينبغي ، ومع ذلك فإن جهد المحقق بدا واضحاً في عمله ، وأنه أعطى ما يمكن في ضوء المادة المتوفرة لديه آنذاك ، والمناهج البارزة حينئذ ، وكون نسخة «حقي» امتازت عن نسخة «الأمير محمد» بعنوان القصائد ، وترتيبها بحسب الأغراض ، وكانت قناعتنا متوافقة مع قناعته ، فقد اعتمدنا نسخته أصلاً في الجانبين معاً مع تعديلات وإضافات سنوّه إليها لاحقاً عند توضيح ما أنجزناه وبما أشرنا إليه في الهوامش كذلك .

جـ - نسخة «زكريا صيام»:

هذه هي الإصدار الثالث للديوان ، أو هي النسخة الثالثة التي وصلنا إليها ، وهي بعنوان «ديوان الأمير عبدالقادر الجزائري تحقيق وشرح وتعليق» ، صدرت عن «ديوان المطبوعات الجامعية» ، الجزائر سنة ١٩٨٨ ، بحجم متوسط بلغت صفحاته أربعين وثلاثمائة صفحة ، قدم للديوان الدكتور «إبراهيم السعدي» في ثلاث صفحات من (ص ٧ إلى ص ٩) تلت ذاك ترجمة الشاعر الأمير عبدالقادر من (ص ٣ إلى ص ٥٦) تخللتها صور للأمير في الصفحات : (١٧ ، ٢١ ، ٢٥) ولوحة رخامية تؤرخ معاهدة «تافنا» الشهيرة في (ص ٣٥) ثم صورة الأمير مجدداً في (ص ٣٩) مذيلة بختمه الرسمي ، وهي غير واضحة نسبياً ، كما نجد صورة الأمير وأفراداً من رجاله محاطين ببعض الفرنسيين في «أمبواز» السجن الذي سجن فيه بفرنسا ، وصوراً أخرى للأمير

كذلك في صفحتي (٤٧، ٥٣) ومن (ص ٥٩ إلى ٩٠) نقرأ ما كتبه المحقق عن شعر الأمير، بحيث بدأ موضوعاته معتمداً فيها على ما أثبتته «حقي» رافضاً بعض العناوين التي اقترحها «حقي» لأنه يرى أنها لا تنسجم مع اتجاه الأمير الصوفي كعنوان «وليمة الله»، كما تحدث عن بنيوية شعر الأمير كما أسماها بشيء من الإيجاز فتناول المعجم بخاصة من (ص ٧٢ إلى ص ٩٠) وقد انتهى بخصوص هذه النقطة إلى القول في خلاصة مؤداها «وبعد فإن معالم شعر الأمير البنيوية، تجاوزت حدود عصره، إلى ماسبقه بقرون عديدة، واشترأت إلى مشارف العصر الحديث ولو أمكنه التفصي من قيود عصره، التي أثقلت كاهل شعره لاقترب من خط محمود سامي البارودي الذي جمع بينه وبين الأمير مقومات متعددة الجوانب (كذا) تستحق الدرس من الباحثين»^(٣).

ثم يبدأ الديوان بـ «الهمزة» من (ص ٩٣، إلى ص ٣٢٠)، لتأتي بعد ذلك فهارس «الأعلام» و«الأماكن» و«القصائد والأبيات» كما أسماها فالفهرس العام. إن «صيام» خلاف «حقي» حاول اعتماد طريقة من طرق التحقيق فتميز عمله بالخصائص الآتية:

١ - حاول الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع في عمله، فاستحضر نسخة «الأمير محمد»، و«تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبدالقادر»، للأمير «محمد بن عبدالقادر الجزائري» كذلك شرح وتعليق الدكتور «ممدوح حقي» كما رجع إلى نسخة الديوان لـ «ممدوح حقي»، لكنه خالف «الأمير محمد»، و«حقي» في ترتيب أشعار الديوان بترتيبه إياه ترتيباً هجائياً.

٢ - أسقط كل عناوين القصائد التي اقترحها «حقي» في نسخته.

٣ - اعتمد مخالفة كل ما استطاع مخالفته فيما ورد من شروح، وتعليقات، في نسخة «حقي»، وكأنني به أراد إبطال جهد الرجل إبطالاً كلياً لدواع لا أدري أسبابها، وربما كانت فكرة «خالف تعرف» هي التي تحكمته في عمله.

٤ - لم يعوض عناوين «حقى» بأخرى ينتقيها من مضمون الأشعار، أو من معانيها، وكان مثل «الأمير محمد» يصدر قصائد الشاعر بمثل قوله: «وقال الأمير» و«وقال في التصوف»، و«وأنشد» و«ومما أنشده في ذلك القصر قوله»، و«ونظم المقطوعات . . .»، ما يعني أنه لم يعتمد أسلوباً واحداً بحسب المعتاد وعند بعض القدماء، وما تراه اتجاهات النقد في المناهج الحديثة.

٥ - عدم الدقة في تحديد الصفحات التي أخذ منها مثلاً ذكره (ص ٦٤٠) في التحفة، والصحيح أن ما يعنيه موجود في الصفحة (٦٣٩) والأمر متكرر معه في أكثر من موقع كصفحة (٤٥٩)، و(٧٠٢)، وإغفال أرقام الصفحات أحياناً إغفالاً كلياً، كما ورد في صفحة (١٠٩)، حين أحال على «التحفة» دون تحديد الصفحة التي نجد فيها ما أخذ منها.

٦ - الإسهاب في الشروح والتعليقات والمقدمات التي يصدر بها النص كما في صفحة (٢١٥)، مثلاً حيث قدم لمقطوعة شعرية من ثلاثة أبيات بخمسة أسطر كاملة.

٧ - الأخطاء العلمية، والتي نذكر منها على سبيل المثال عدم مراعاة السياق الذي يكون الشاعر في منحا، والأخذ على الشاعر تصريف ما لا ينصرف، وهو ما يتاح للشاعر، ويباح له فيما يعرف بـ «الضرورات الشعرية»، ومثاله في الصفحة (٩٦)، وصفحة (١٠٠) حين جمع الشاعر «مفازات» بعد «كم».

٨ - عدم تخريج الآيات القرآنية وتوثيقها بتحديد مظانها في سور القرآن الكريم، وهذا في كامل الديوان.

٩ - عدم الدقة في إرجاع الاختلافات بين النسخ إلى مواطنها الحقيقية، فقد ذكر في صفحة (١٤٢)، أن عبارة «تمرمرت» وردت هكذا في «التحفة» وفي نسخة «الأمير محمد»، والصحيح أن العبارة في نسخة الأمير وردت «أثمرت» وليس «تمرمرت».

١٠ - إغفال الإشارات أحياناً إلى الخلافات الموجودة بين النسخ التي اعتمدها في تحقيقه، كما في صفحة (٢٢٠) حين لم يشر إلى الخلاف الموجود بين ما اعتمده، وما في نسخة «الأمير محمد»، وكذلك في الصفحة (٢٩٣).

١١ - التعسف أحياناً في أحكامه النقدية، على بعض الصيغ والتعابير، ومن ذلك ما علق به على قول الأمير «بل قد أفاض مدامعي»، حيث علق قائلاً: «يلاحظ تنافر الحروف في تعبيره».

١٢ - تخطئة الشاعر فيما لم يخطئ فيه للتسرع، أو لقلة الدراية، إذ نجده قد حكم على روي قصيدة الشاعر التي مطلعها:

«يا سواد العين! يا روح الجسد»

يا ربيع القلب! يا نعم السند»

حكم على رويها بوجود «إقواء» فيها بكثرة لا اعتقاده أن قافيتها مطلقة، والصحيح أن القصيدة من «الرملة»، وقافيتها مقيدة مما يبرئ الشاعر من الوقوع في الإقواء في قافيتها تماماً.

١٣ - عده زيادة بعض الحروف لدى الشاعر ترفاً في التعبير، ولا داعي لها كما في قول الشاعر في شطر البيت «أما آن للخل المريض بأن يبرا» حيث، عد حرف «الباء» زائداً في قوله «بأن»، والشطر كما نرى من «الطويل» ووجود الباء هنا ضرورة لحفظ الوزن من الاضطراب والانكسار، وهو مباح للشاعر.

١٤ - تصحيح بعض العبارات في المتن دون ذكر ذلك في الهامش، ففي بيت الشاعر:

«تكاد لذكراهم تذوب حشاشتي

ومالي سواهم من ولي ولا خال»

صحح ذكراهم، ولم يشر إلى ذلك في الهامش.

١٥ - عدم إعطائه أي معلومة من المعلومات عن مصادره ، ومراجعته في التحقيق بحيث اكتفى بذكر عناوينها ونادراً ما يذكر اسم مؤلفها كلما رجع إلى أي منها ، الأمر الذي جعلنا لا نعرف المعلومات اللازمة عنها فنراعيها في أثناء العودة إليها للاستفادة منها بشكل من الأشكال ، ولأي غاية من الغايات الساعي إلى تحقيقها ، والأبعد من هذا أنه لم يثبت قائمتها في آخر مؤلفه بحسب ما تقتضيه المناهج العلمية الحديثة .

١٦ - وخلاف جهد «حقي» بخصوص شكل ما يرى ضرورة شكله في الديوان فإن «صيام» لم يشكل أي حرف في الديوان نهائياً ، ولا ندري ما سبب ذلك التقصير غير المستساغ كلياً في تحقيق تراثنا العربي .

١٧ - إسرافه في الهوامش وفي الشرح اللغوي للمفردات إسرافاً مخرلاً حتى حول الديوان إلى شبه معجم لغوي ، واقتناصه للفرص السانحة ، والافتعال أحياناً أخرى من أجل الرد على «حقي» بالمناسبة وغير المناسبة ، ما يصرف القارئ عن شعر الأمير ويشغله بتلك الشروح ، والمعروف أن الهوامش ينبغي أن يتعامل معها بذكاء ومهارة ودقة حتى لا تطفئ على المتن ، فتصير هي نفسها متناً آخر على كاهل المتن الأصلي .

د - منتخبات «محمد ناصر»:

هذه مجموعة من قصائد الأمير بلغ عددها (١٨) قصيدة اختارها الدكتور محمد ناصر من ديوان الأمير عبدالقادر ، وقدمها لطلاب الثانويات ، طبعت في المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة ١٩٨٤ ، اعتمد فيها على نسختي «الأمير محمد» و«مدوح حقي» ، كما اعتمد على دراسة الأستاذ «عبدالوهاب بن منصور» ، في بعض

الملاحظات والمعلومات التي قدمها عن الشاعر وشعره، فالكتيب إذن أعد لغاية محددة، وغرض معين لذلك ركز فيه المؤلف على الانتقاء، وشرح بعض المفردات، وتقديم ترجمة موجزة عن الشاعر دون الاهتمام بالجوانب العلمية الأخرى، ومع ذلك فإن المؤلف انفرد عن غيره ممن ذكرنا بإثباته قائمة المصادر والمراجع التي أخذ عنها في مؤلفه ذاك. وكون «المنتخبات» مع عدد نصوصها الضئيل بالقياس إلى ديوان الأمير فإننا لم نهملها في عملنا حتى نقرب من كل ما نشر من شعر الشاعر، إن لم نحط به كله، وقد رمزنا لمنتخبات «ناصر»، بحرف «ن».

هـ - الملحقان:

كما تبين فإن ديوان «الأمير عبدالقادر» الذي أصدره ولده «محمد»، والذي حذا حذوه فيه «ممدوح حقي» لم يضم كل شعر الأمير، بحيث استبعد عنه شعره الذي في «المواقف»، أما «صيام» فقد حاول استدراك ذلك، وأثبت ما وصل إليه من شعره في «المواقف»، ومع ذلك فقد فاتته بعض النصوص، كما سيلاحظ ذلك في مظانه في الديوان أو في الملحقين معا.

ولما كان المؤلف في التحقيق هو اعتماد أكثر من نسخة عندما تكون موجودة، وكان الأمر هذا منسحباً هنا على ديوان الأمير، فإني - وكوني - لم أجد نسخاً أخرى لشعر الأمير في «المواقف» وفي غيرها فقد فضلت أن أبقى الديوان كما عده ابنه، ومن سار على نحوه، وأن ألحقه بملحقين: الأول وخصصته لشعره الذي أثبتته الأمير بنفسه في المواقف، كما قيل، وربما لذلك فضل ابنه إبقاءه هناك على دمج في الديوان، والثاني وخصصته لقصيدتين وردتا في مذكراته، كتبهما عن مدينتين فرنسيتين، ولأول مرة يشار إليهما في ديوانه الذي يكون جمع فيه كل شعره المتوصل إليه الآن.

وبالملحقين الموضحين آنفاً يمكن لنا القول: إن جهدنا قد سعى إلى جمع شعر

الأمير في دفتي ديوان واحد، وحاول في ظروف محددة زمنياً أن يستدرك ما فات من سبقنا، وأن يعرض صور كل المحققين السابقين مسقطاً بعض ما رآه زائداً، علمياً بحسب قناعتنا، مبعداً كل الأشعار التي كانت مثبتة في النسخ السابقة على أساس أنها وجهت للأمير مشيراً إلى أصحابها، وإلى مطالعها في الهوامش ومواطن وجودها لتخصيص الديوان لشعر صاحبه ليس إلا، وإثبات مواطنها للعودة إليها لمن أراد ذلك. إلى غير هذا مما ألمعنا إليه في المقدمة، أو في الصفحات هذه الخاصة بنسخ الديوان، وفي الهوامش والإحالات.

ويبقى جهدنا أبداً، جهداً بشرياً فيه من التوفيق ما فيه، ومن الضعف والخطأ ما فيه، وسنكون ممنونين لكل من يهدي إلينا أخطاءنا لنستدركها إن وفقنا الله إلى ذلك في حين آخر إن شاء الله.

إحالات:

- (١) محمد (الأمير) بن عبد القادر، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، دار المعارف، مصر، بلا تاريخ، ص ١.
- (٢) د. ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، شرح وتعليق، دار اليقظة العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٦٤، ص: ١٤، ١٥، ١٦.
- (٣) د. زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٨، ص: ٩٠.

جدول الرموز المستعملة في التحقيق

- «أ» نسخة الأمير محمد باشا ابن الأمير عبد القادر.
«ت» نسخة تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، والأمير عبد القادر.
«ص» نسخة الدكتور زكريا صيام.
«ن» نسخة منتخبات الدكتور محمد ناصر.
«م» كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري.
«ح» نسخة الدكتور ممدوح حقي، وهي التي اعتمدناها أصلاً في
التحقيق كما ذكر ذلك في موطنه
(م) المراجع.

أ- الفخر

وراء الصورة (*)

[من الطويل]

لئن كَانَ هذا الرِّسْمُ يعطيك ظاهري
فليس يُريك الرِّسْمُ صورَتَنَا العَظْمَى^(١)
فثُمَّ، وراءَ الرِّسْمِ، شَخْصٌ مُحَجَّبٌ
له هِمَّةٌ، تَعْلُو بِأَخْمَصِهَا النُّجْمَا
وَمَا المَرءُ بالوجهِ الصَّبِيحِ افْتِخَارُهُ
ولكنه بالعقلِ، والخُلُقِ الأَسْمَى
وإنْ جُمِعَتِ للمرءِ هَذِي وهَذِهِ
فذاك الذي لَا يُبْتَغَى بَعْدَهُ نُعْمَى

(*) كان من عادة الأمير الشاعر أن يكتب هذه الأبيات تحت صورته أو خلفها لمن يهديها له.

(١) الأبيات في تج ص ٢٨٨ - ٢٨٣ وفي « أ »، ص: ٥٣

أَبُونَا رَسُولُ اللَّهِ (*)

[من الطويل]

أَبُونَا رَسُولُ اللَّهِ، خَيْرُ الْوَرَى طَرَا
فَمَنْ فِي الْوَرَى يَبْغِي يَطَاوِلُنَا قَدْرًا^(١)
وَلَنَا غَدَا دِينًا وَفَرْضًا مُحْتَمًا
عَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ بِهِ يَأْمَنُ الْغَدْرًا^(٢)
وَحَسْبِي بِهَذَا الْفَخْرِ مِنْ كُلِّ مَنْصَبٍ
وَعَنْ رَتْبَةٍ تَسْمُو.. وَبِضَاءٍ أَوْ صَفْرًا^(٣)
بَعْلِيَانَا يَعْلُو الْفَخَارُ وَإِنْ يَكُنْ
بِهِ قَدْ سَمَا قَوْمٌ، وَنَالُوا بِهِ نَصْرًا
وَبِاللَّهِ أَضْحَى عَزُّنَا وَجَمَالُنَا
بِتَقْوَى وَعِلْمٍ وَالتَّزَوُّدُ لِلْآخِرَى^(٤)
وَمَنْ رَامَ إِذْلَالَ لَنَا، قُلْتُ : حَسْبُنَا
إِلَهُ الْوَرَى، وَالْجَدُّ.. أُنَعِّمُ بِهِ ذَخْرًا^(٥)

(١) المقطوعة في تج ص تج، ص: ١٦٣، و "ن" ص: ٣٢. (١). يعتز، ويفتخر بأصله المنحدر من الأسرة النبوية الشريفة.

(٢) ولانا :ولاؤنا وفي تجن تج يامن الكفرا"وكذلك في "أ". (٣) أراد بالابيض والأصفر الفضة والذهب.

(٤) في البيت معنى الآية : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ البقرة : ١٩٧ .

(٥) في تجن تج أنعم بـ..... وأيسر..... في "أ".

بنا افتخر الزمان (*)

[من الوافر]

لَنَا فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ مَجَالٌ
وَمِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ لَنَا رَجَالٌ^(١)
رَكِبْنَا لِلْمَكَارِمِ كُلِّ هَوِيلٍ
وَحُضِنَا أَبْحَرَ وَلَهَا زَجَالٌ^(٢)
إِذَا عُنْهَا تَوَانَى الْغَيْرُ عَجْزًا
فَنَحْنُ الرَّاحِلُونَ لَهَا الْعِجَالُ^(٣)
سَوَانًا لَيْسَ بِالْمَقْصُودِ لَمَّا
يَنَادِي الْمُسْتَغِيثُ : أَلَا تَعَالُوا !!
وَلَفْظُ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ مُسَمَّى
سَوَانًا وَالْمَنَى مِنَّا يُنَالُ
لَنَا الْفَخْرُ الْعَمِيْمُ بِكُلِّ عَصْرِ
وَمَصْرٌ... هَلْ بِهَذَا مَا يُقَالُ؟ نَجْرَعُنَا ثَوْبَنَا عَنْ
كُلِّ لَـ_____وَمِ
وَأَقْوَالِي تَصِدِّقُهَا الْفِعَالُ^(٤)
وَلَوْ نَدْرِي بِمَاءِ الْمَزْنِ يَزْرِي
لَكَانَ لَنَا عَلَى الظُّمَأِ احْتِمَالُ !!

(*) القصيدة في "أ"، ص: ٨٦٧ و"ت"، ص: ٤٦٠، ٤٦١ و: "ص"، ص: ٢٥٧، ٢٦٠، و"ن"، ص: ٢٨، ٢٩ .

(١) السَّمَاءُ: أحد السماكين: الأعزل والرامي، وهما كوكبان نيران، ضرب الشاعر مثلاً بالسماك في علو المكانة، وسمو الشخصية (م).

(٢) في كتب اللغة: الرَّجُلُ الجلبة، والرُّجْلَة: صوت الناس وجماعتهم، ولم ترد (الزجال) فكان الشاعر وضعها في مكان الرُّجُل تجاوزاً. (م).

(٣) في "ت": عجال، والعجال جمع العجلان: المُسرِع والتعريف هو الأصح نحويًا، وكذلك في "ن".

(٤) في "ت": فأقوالي.

ذُرَّا ذَا الْمَجْدِ - حَقًّا - قَدْ تَعَالَتْ
 وَصَدَقًا قَدْ تَطَاوَلَ، لَا يُطَالُ^(١)
 فَلَا جَزَعٌ وَلَا هَلَعٌ مَشِينٌ
 وَمِنَّا الْغَدْرُ أَوْ كَذِبٌ مُحَالُ^(٢)
 وَنَحْلُمُ إِنْ جَنَى السَّفَهَاءُ يَوْمًا
 وَمِنْ قَبْلِ السُّؤَالِ، لَنَا نَوَالُ^(٣)
 وَرَثَتُنَا سَوْدُودًا لِلْعُرْبِ يَبْقَى
 وَمَا تَبَقَّى السَّمَاءُ وَلَا الْجِبَالُ
 فَبِالْجَدِّ الْقَدِيمِ عِلَتْ قَرِيشُ
 وَمِنَّا فَوْقَ ذَا طَابَتْ فَعَالُ
 وَكَانَ لَنَا - دَوَامَ الدَّهْرِ - ذِكْرُ
 بِذَا نَطَقَ الْكِتَابُ وَلَا يَزَالُ^(٤)
 وَمِنَّا لَمْ يَزَلْ فِي كُلِّ عَصْرِ
 رَجَالٌ لِلرَّجَالِ هُمْ الرِّجَالُ
 لَقَدْ شَادُوا الْمُؤَسَّسَ مِنْ قَدِيمٍ
 بِهِمْ تَرَقَّى الْمَكَارِمُ وَالْخِصَالُ
 لَهُمْ هِمَمٌ سَمَتْ فَوْقَ الثَّرِيَّا
 حِمَاةَ الدِّينِ، دَأْبُهُمُ النُّضَالُ
 لَهُمْ لِسُنُ الْعُلُومِ، لَهَا احْتِجَاجُ
 وَبَيْضُ، مَا يَثْلُمُهَا النَّزَالُ

(١) فِي "ت" قَدْ تَعَالَى.

(٢) كَذَا بَعُطِفَ النُّكْرَةُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ (م).

(٣) فِي "ت": السَّفَهَاءُ حَقًّا. وَكَذَلِكَ فِي "ن"

(٤) اسْتَأْنَسَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
 الْأَحْزَابُ : ٥٦ .

سَلُّوا، تَخْبِرْكُمُ عَنَّا فَرَنْسَا
وَيَصْدُقُ إِن حَكْتُ مِنْهَا الْمَقَالَ^(١)
فَكَمْ لِي فِيهِمْ مِنْ يَوْمِ حَرْبِ
بِهِ افْتَخَرَ الزَّمَانُ، وَلَا يَزَالُ

(١) في "ت" سلوا عنا الفرائس تخبركم. و: إذ حكت.

لبيك تلمسان(*)

[من الطويل]

إلى الصون مَدَّتْ تلمسانُ يداها
ولبَّتْ فهذا حسنُ صوتِ نداها
وقد رَفَعَتْ عنها الإزارَ، فلجَّ به
وبَرَّدَ فؤاداً، من زلالِ نداها
وذا روضُ خديها، تفتقَ نورُهُ
فلا ترضَ من زاهي الرياضِ عداها
وياطلما عانتَ نقابَ جمالها
عادةً وهم - بين الأنام - عداها^(١)
وكم رائمٍ رامَ الجمال الذي ترى
فأرداه منها : لحظُّها، ومُناها^(٢)
وحاولَ لثَمَ الخال من ورْدٍ خدها
فضنَّتْ بما يبغي، وشطَّ مداها
وكم خاطبٍ، لم يُدعَ كفئاً لها، ولم
يشم طرفاً، من وشي ذيلِ رداها^(٣)
وأخرُ لم يعقدَ عليها بعصمة
وما مسَّها مساً أبانَ رضاها

(*) القصيدة في "آ"، ص: ٥، ٦ و "ت"، ص: ٢٨٦ بم ٢٨٧ و"ص"، ص: ٣١١، ٣١٤ وفي "ت" وردت القصيدة منسوبة كلها إلى الشاعر، بينما في "آ" تتوقف عند البيت «وأخر لم يعقد...»، ونسبت بقية القصيدة إلى «قدور بن محمد بن رويلة» الذي أكملها على الصورة التي هي عليها بدعوى أن الأمير لم يتمكن من ذلك، فطلب من كاتبه إكمالها، لكن روح القصيدة يبقى متجانساً فلا يحسننا بذلك. [وانظر تعليق د. صيام على هذا الموضوع] (م).

واضطر الشاعر إلى نقل حركة اللام إلى الميم من تلمسان لمناسبة الشعر. تنظر ترجمة تلمسان في: معجم البلدان والروض المعطار (م).

(١) في "آ" صانت، وأيضاً في "ت".

(٢) في أتج ومداها، كذلك في تجتجج. (٣) شام: يريد نظر (م).

ولم تسمع العذرا إليه بِعَطْفَةٍ
 ولم يَتمكّن من جميلِ سناها
 وشدّت نطاق الصدّ صوتاً لحسنِها
 فلم يتمتّع من لذيذِ لهاها
 وأبدت له مكرّاً وصدّاً وجفوةً
 وسدّت عليه ما نوى بنواها
 وخابت ظنونُ المفسدين بسعيهم
 ولم تنل الأعدا هناك منهاها
 قد انفصمت من "تلمسان" حبالها
 وبانت وألت لا يحلُّ عُراها
 سوى صاحب الإقدام في الرأي والوعى
 وذو الغيرة الحامي الغداة حماها^(١)
 ولما علمت الصدق منها بأنها
 أنالني الكرسي، وحزّت علاها^(٢)
 ولم أعلم في القطر غيري كافلاً
 ولا عارفاً في حقّها وبهاها
 فبادرت حزمّاً وانتصاراً بهمتي
 وأمهرتُها حبّاً فكان دواها^(٣)
 فكنت لها بعلاً وكانت حليّتي
 وعرسي، وملّكي، ناشراً للواها^(٤)
 ووشحْتُها ثوباً من العزّ رافلاً
 فقامت بإعجاب، تجرّ رداها

(١) في "أ" حماة.

(٢) في "أ" وجدت.

(٣) في "أ" و "ت" حب شفاء.

(٤) العرس - بكسر العين - الزوجة (م).

ونادتْ أَعْبَدَ القادرِ المنقذَ الذي
أَعْنَتُ أَنْسَاءَ مِنْ بحورِ هواها ^(١)!!
لأنك أَعْطَيْتَ المفاتيحَ عُنُوَّةً
فَزِدْنِي أَيَا عَزِّ الجزائرِ جاهًا
ووهْـرَان، والمرساةُ كلاً بما حَوَتْ
غَدَتْ حَائِزَاتٍ، مِنْ حِمَاكَ، مِنْهَا ^(٢)

(١) في "أ" بحار.

(٢) في "أ" بمن حوت. ووهران مدينة تقع في غرب الجزائر وهي العاصمة الثانية بعد الجزائر العاصمة، والمرساة يريد مرسى وهران التي كانت مستهدفة في العصر الوسيط والحديث من قبل الغزاة الإسبانين وغيرهم.

بي يحتمي جيشي(*)

[من الطويل]

تسائلني أم البنين، وإنَّها
لأعلم من تحت السماء بأحوالي
ألم تعلمي يا ربة الخدر أنني
أجلِّي هموم القوم، في يوم تجوالي !!
وأغشى مضيق الموت لا متهيباً
وأحمي نساء الحي، في يوم تهوال^(١)
يثقن النساء بي حيثما كنت حاضراً
ولا تثقن في زوجها ذات خلخال^(٢)
أمير إذا ما كان جيشي مقبلاً
وموقد نار الحرب إذ لم يكن صالي
إذا مالقت الخيل، إنِّي لأول
وإن جال أصحابي فإني لها تال
أدفع عنهم ما يخافون من ردى
فيشكر كل الخلق من حسن أفعالي
وأورد رايات الطعان صريحة
وأصدرها بالرمي تمثال غربال^(٣)
ومن عادة السادات بالجيش تحتمي
وبي يحتمي جيشي وتحرس أبطال

(*) القصيدة في "أ"، ص: ١١، ١٢ ص: ٢٦٦، ٢٦٩، "ن"، ص: ٣٠، ٣١ .

(١) التهوال، والجمع تهاول، ما يهول الإنسان ويحيره (م).

(٢) قوله: «يثقن النساء» على لغة ضعيفة. (م).

(٣) في "أ" آيات.

وبي تَتَّقِي يومَ الطَّعَانِ فِوَارِسُ
تَخَالِيئُهُمْ فِي الْحَرْبِ أَمْثَالُ أَشْبَالِ
إِذَا مَا اشْتَكَّتْ خِيَلِي الْجِرَاحَ تَحْمَحُمَا
أَقُولُ لَهَا : صَبْرًا كَصَبْرِي وَإِجْمَالِي^(١)
وَأَبْذُلُ يَوْمَ الرُّوْعِ نَفْسًا كَرِيمَةً
عَلَى أَنَّهَا فِي السَّلْمِ أَعْلَى مِنَ الْغَالِي
وَعَنِّي سَلِي جَيْشَ الْفَرَنْسِيْسِ تَعْلَمِي
بِأَنَّ مَنَايَاهُمْ بِسَيْفِي وَعَسَّالِي^(٢)
سَلِي اللَّيْلِ عَنِّي، كَمْ شَقَقْتُ أُدِيمَةً
عَلَى ضَامِرِ الْجَنْبَيْنِ، مَعْتَدِلِ عَالِ
سَلِي الْبَيْدِ عَنِّي وَالْمَفَاوِزِ وَالرُّبَا
وَسَهْلًا وَحَزْنًا، كَمْ طَوَيْتُ بِتَرْحَالِي
فَمَا هِمَّتِي إِلَّا مَقَارَعَةُ الْعَدَا
وَهَرَمِي أَبْطَالًا شَدَادًا بِأَبْطَالِي^(٣)
فَلَا تَهْزَنِي بِي وَاعْلَمِي أَنَّنِي الَّذِي
أُهَابُ، وَلَوْ أَصْبَحْتُ تَحْتَ الثَّرَى بِالِي

(١) في "أ" تشكي، والبيت على صلة بقول عنتره العبسي:

"فَارُورٌ مِّنْ وَقَعِ الْقَنْنَا بِأَبْنَانِهِ

وَشَكَكَ إِلَى بَعْبُورَةٍ وَتَحْمَحُمُ"

(٢) في "أ" سلي عني، والبيت استوحى فيه قول عنتره أيضًا:

"هَلَا سَأَلْتَ الْخَيْرَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ

إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

يَخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعَةِ أَنَّنِي

أَغَشَى الْوُغَى وَأَعَفَ عِنْدَ الْمَغْنَمِ"

والعسأل هو الرمح، و: عَسَلَ الرمحُ: اشْتَدَّ اهْتَزَّاهُ واضْطَرَبَ (م).

(٣) في "أ" لأبطال.

ما في البداوة عيب(*)

[من البسيط]

يا عاذراً لامرئٍ قد هَامَ في الحضرِ
وعاذلاً لمحِبِّ البدو والقفرِ^(١)
لا تذمَّنْ بيوتاً خُفَّ مَحْمُلُهَا
وتمدحْنْ بيوتَ الطينِ والحجرِ!
لو كنتَ تعلمُ ما في البدو تعذرُنِي
لكنْ جهلتَ وكم في الجهلِ من ضررِ!
أو كنتَ أصبحتَ في الصحراءِ مرتقياً
بساطِ رملٍ به الحصباءُ كالدرِّ
أو جُلْتَ في روضةٍ قد راقَ منظرُها
بكلِّ لونٍ جميلٍ شَيِّقٍ عطرِ
تستنشقُنْ نسيماً طابَ مُنْتَشَقاً
يزيدُ في الروحِ، لم يمرُّرْ على قذرِ^(٢)
أو كنتَ في صبحٍ ليلٍ هاجَ هاتِنُهُ
علوتَ في مرقَبٍ، أو جلتَ بالنظرِ^(٣)
رأيتُ في كلِّ وجهٍ من بسائطِها
سرِّباً من الوحشِ يرعى أطيَبَ الشجرِ

(*) نظم الشاعر القصيدة إجابة عن سؤال وجهه إليه بعض أمراء فرنسا وهو: "البدو أفضل أم الحضر؟".

(١) القصيدة في "أ"، ص: ١٥، ١٦ و: "ت"، ص: ٥٣٠، ٥٣٢، و"ن"، ص: ٣٦، ٣٣ و"ص"، ص: ١٧٢، ١٨٠.

(٢) في "أ" لم يسري على. [والتوكيد في «تستنشقُنْ» ضرورة. انظر معجم النحو ٤١٤] (م).

(٣) المرقب: المكان المرتفع يرتفع عليه الرقيب، والجمع مراقب.

فيآلها وقفه لم تبقي من حزن
 في قلب مضنى، ولا كذاً لذي ضجر^(١)
 نُبَاكرُ الصيدَ أحياناً فنُبَغْتُهُ
 فالصيدُ منّا مدى الأوقاتِ في دُعر^(٢)
 فكَمْ ظلمنا ظليماً في نعامته
 وإن يكن طائراً في الجو كالصقر^(٣)
 يوم الرحيل إذا شُدَّتْ هِوَا جُنَا
 شقائق عَمَّها مزنٌ من المطر
 فيها العذارى وفيها قد جعلن كوى
 مرقعات بأحداق من الحور^(٤)
 تمشي الحدأة لها من خلفها زجل
 أشهى من الناي والسنطير والوتر^(٥)
 ونحن فوق جياذ الخيل نركضها
 شليها زينة الأكفال والخصر^(٦)
 نطارد الوحش والغزلان نلحقها
 على البعاد وما تنجو من الضمر
 نروح للحي ليلاً بعد ما نزلوا
 منازلاً مابها لطح من الوضر^(٧)
 ترابها المسك بل أنقى وجاد بها
 صوب الغمام بالآصال والبكر

(١) في "ت" ضنكا، وفي "ص" من وقفة.

(٢) الصيد هنا بمعنى المصيد (م).

(٣) في "أ" و"ت" مع نعامته، والظلم ذكر النعام.

(٤) شبه عيون العذارى وهن ينظرن إلى الرجال من خلف شقوق الستائر بالرقاع تستر هذه الكوى.

(٥) الحدأة : واحدتها حاد وهو الذي ينشد الإبل لحثها على السير، والسنطير آلة موسيقية شبيهة بالقانون.

(٦) الشليل : قطعة نسيج من صوف أو شعر توضع على عجز البعير من وراء الرجل، وفي «ص»: شبه عرق

الفرس بالشليل، والأكفال جمع الكفل: العَجَز (م) ..

(٧) الوضر : القذر. [واللطح: اليسير القليل من كل شيء] (م).

نلقى الخيام.. وقد صُفَّت بها - فغدتْ
 مثل السماء زهتْ بالأُنجم الزهرِ
 قال الألي قد مضوا، قولاً يصدِّقه
 نقلٌ وعقلٌ وما للحق من غيرِ:
 "الحسنُ يظهرُ في بيتين، رونقُهُ:
 بيتٌ من الشَّعرِ أو بيتٌ من الشَّعرِ"^(١)
 أنعامُنا إن أتت عند العشي تَحُلْ
 أصواتها كدوي الرعد بالسحرِ
 سفائنُ البرِّبل أنجى لراكبيها
 سفائنُ البحرِ كم فيها من الخطرِ^(٢)
 لنا المهارى وما للريم سرعتُها
 بها وبالخيل نلنا كل مفتخرِ^(٣)
 فخيَّلنا دائماً للحربِ مُسرَّجَةً
 من استغاث بنا بشَّره بالظفرِ
 نحن الملوكة فلا تعدل بنا أحداً
 وأيُّ عيش لمن قد بات في خفرِ؟^(٤)
 لا نحمل الضَّيِّمَ ممَّن جاء نتركه
 وأرضه وجميع العزِّ في السفرِ
 وإن أساء علينا الجارُ عشرتهُ
 نبينُ عنه بلا ضررٍ ولا ضررِ
 نبيت: نار القري تبدو لطارقنا
 فيها المداواة من جوع ومن خَصَرِ^(٥)

(١) البيت لأبي العلاء المعري، وقد ضمنه الشاعر في قصيدته.

(٢) سفائن البر: كناية عن الإبل.

(٣) مهاري جمع مهيبة: ناقة من أنجب النوق منسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن (م).

(٤) لعل البيت فيه بعض ما في قول الزبيرقان بن بدر: "نحن الكرام فلا حي يعادلنا".

(٥) في "أ" تببت.

عَدُونًا مَالَهُ مَلُجًا وَلَا وَزَرَ
وَعُنْدَنَا عَادِيَاتُ السَّبِقِ وَالظَفَرِ^(١)
شَرَابُهَا مِنْ حَلِيبٍ مَا يَخَالِطُهُ
مَاءٌ وَلَيْسَ حَلِيبُ النُّوقِ كَالْبَقَرِ
أَمْوَالُ أَعْدَائِنَا فِي كُلِّ أَوْزَنَةٍ
نَقْضِي بِقِسْمَتِهَا بِالْعَدْلِ وَالْقَدْرِ
مَا فِي الْبَدَاوَةِ مِنْ عَيْبٍ تُذَمُّ بِهِ
إِلَّا الْمَرْوَةُ وَالْإِحْسَانُ بِالْبِدْرِ^(٢)
وَصِحَّةُ الْجِسْمِ فِيهَا غَيْرُ خَافِيَةٍ
وَالْعَيْبُ وَالِدَاءُ مَقْصُورٌ عَلَى الْحَضَرِ
مَنْ لَمْ يَمُتْ عِنْدَنَا بِالطَّعْنِ عَاشَ مَدًى
فَنَحْنُ أَطْوَلُ خُلُقِ اللَّهِ فِي الْعَمْرِ !!

(١) لَابِدٌ مِنْ تَسْهِيلِ هَمْزَةٍ (مُلْجًا) لِاسْتِقَامَةِ الْوِزْنِ (م).

(٢) الْبِدْرُ (بِكْسَرِ الْبَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ) جَمْعُ الْبَيْرَةِ: كَيْسٌ فِيهِ أَلْفٌ أَوْ عَشْرَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ (م).

شدت عليه شدة هاشمية(*)

[من الطويل]

توسدُ بمهد الأمنِ قد مرّت النوى
وزال لُغوبُ السير من مشهدِ الثوى^(١)
وعرّ جياداً حاد بالنفس كرّها
وقد أشرفت - ممّا عراها - على الثوى^(٢)
ألا كم جرت طلقاً بنا تحت غيب
وخاضت بحار الأل من شدة الجوى^(٣)!
وكم من مفازات يضلُّ بها القطا
قطعت بها والذئب من هولها عوى^(٤)
وقد أصبحت مثل القسيّ ضوامراً
وتلك سهامٌ للعدا وقّعها شوى^(٥)
إلى أن بدت نيرانُ أعلامنا لها
وفي ضوء نيران الكرام لها صوى^(٦)
ولا سيّما أهل السيادة مثلنا
بنو الشرف المحض المصون عن الهوى^(٧)

(*) قال الشاعر قصيدته في معركة "خنق النطاح" قرب وهران، وقد وجه إليه فارس من الأعداء سهماً فمر نحو إبطه، ولم يصبه بأذى، وشد عليه الأمير ثم هوى على الفارس فأرداه قتيلاً. وقاد هذه المعركة والد الأمير عبد القادر "محيي الدين".

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٣، ٥، و: "ت"، ص: ١٤٩، ٥٠، و: "ص"، ص: ٩٩، ١١٠، و: "ن"، ص: ٢١، ٢٦، واللغوب: التعب والإعياء. والثوى: النزول والإقامة.

(٢) في "ت"، جاد بالنفس والتوى: الهلاك.

(٣) في "أ"، و: "ت"، وكم قد جرت طلقاً بنا في غياهب، والجوى: الحزن الشديد.. والغيب: الظلام.

(٤) المفازات: الصحارى القاحلة، جمع مفازة.

(٥) في "أ" و: "ت" لذا قد غدت، والشوى: المتلاحق، أو اللحم إذا نضج شويًا. [والشوى: الأمر الهين] (م).

(٦) في "أ" و: "ت" وما ضوء، و: انزوى، والصوى: ما يستدل به في الطريق، وهو صوت الصدى أيضاً.

فَقَالَتْ : أَيَا ابْنِ الرَّاشِدِيِّ لَكَ الْهِنَا
كَفَى فَاتَرَكَ التَّسْيَارَ وَاحْمَدُ وَجَى النُّوَى^(١)
أَلَا يَا ابْنَ خَلَادٍ تَطَاوَلْتَ لِلْعُلَا
وَبَايَنْتَ مَأْوَاكَ الْكَرِيمَ وَمَا حَوَى^(٢)
فَمَنْ أَجَلُ ذَا قَدْ شُدَّ فِي رَبْعِنَا لَهَا
عَقَالُ وَنَادَيْنَا : لَكَ الْعَزُّ قَدْ ثَوَى^(٣)
وَحَلَّ بِكَ هَفَ لَا يُرَامُ جَنَابُهُ
فَمَنْ حَلَّ فِيهِ مِثْلُ مَنْ حَلَّ فِي طُوَى^(٤)
فِيْنَا أَكَالِيلُ الْهَدَايَةِ وَالْعُلَا
وَمِنْ نَشَرٍ عَلَيْهَا ذَوِي الْمَجْدِ قَدْ طَوَى^(٥)
فَنَحْنُ لَنَا دِينَ وَدُنْيَا، تَجَمُّعَا
وَلَا فَخْرَ إِلَّا مَا لَنَا يَرْفَعُ الْوَا^(٦)
مَنْاقِبُ مَخْتَارِيَّةٌ قَادِرِيَّةٌ
تَسَامَتْ وَعَبَّاسِيَّةٌ مَجْدُهَا احْتَوَى^(٧)
فَإِنْ شِئْتَ عِلْمًا تَلَقَّنِي خَيْرَ عَالِمٍ
وَفِي الرُّوْعِ أَخْبَارِي - غَدَتْ - تُوهِنُ الْقَوَى^(٨)

- (١) في "أ" و"ت" يابن، وقصد بالراشدي نفسه، تخني عليه بالراي الحصيف، الموصوف به أبوه قبله. والوجي: تعب الرجل، والمراد التعب عامة.
- (٢) في "أ" ألا يابن خلاد، وهو الصحيح و"ياين" خطأ مطبعي في الأصل المعتمد، و: خلاد: مبالغة من خالد - وباينت: تركت، وهجرت.
- (٣) في "أ"، و"ت" عقالا وهو كناية عن المكوث.
- (٤) طوى: الوادي المقدس الذي نزل به نبي الله موسى عليه السلام، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿أَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ طه: ١٢.
- (٥) في "أ"، و"ت" فنحن. و: عليهم.
- (٦) في "أ"، و"ت" ونحن لنا.
- (٧) مختارية: منسوبة إلى محمد ﷺ النبي المختار، وقادرية: منسوبة إلى الطريقة الصوفية القادرية. وعباسية: أراد بني العباس أعمام رسول الله محمد ﷺ.
- (٨) في معنى الحديث النبوي: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ...».

لَنَا سَفْنٌ بِحَرِّ الْحَدِيثِ بِهَا جَرَى
 وَخَاضَتْ فَطَابَ الْوَرْدُ مِمَّنْ بِهَا ارْتَوَى^(١)
 وَإِنْ رَمَتْ فَقَهَ الْأَصْبَحِيُّ فَعُجَّ عَلَى
 مَجَالِسِنَا تَشْهَدُ لَوَاءَ الْعَنَا دَوَا^(٢)
 وَإِنْ شِئْتَ نَحْوًا، فَانْحُنَّا، تَلْقُ مَا لَهُ،
 غَدَا يَدْعُنُ الْبَصْرِيُّ زُهْدًا بِمَا رَوَى^(٣)
 وَنَحْنُ سَقِينَا الْبَيْضَ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ
 دِمَاءُ الْعَدَا وَالسَّمَرُ أَسْعَرَتِ الْجَوَى^(٤)
 أَلَمْ تَرَ فِي لَخْنِ الْنَطَاحِ لَدِ نَطَاحِنَا غَدَاةَ
 الْتَقِيَيْنَا كَمْ شَجَاعٍ لَهُمْ لَوَى!^(٥)
 وَكَمْ هَامَةً ذَاكَ النَّهَارَ قَدَدْتُهَا
 بِحَدِّ حُسَامِي وَالْقَنَا طَعْنُهُ شَوَى^(٦)
 وَأَشْقَرَ تَحْتِي كَلِمَتُهُ رِمَاحُهُمْ
 ثِمَانٍ وَلَمْ يَشْكُ الْجَوَى بَلْ وَمَا التَّوَى^(٧)
 بِيَوْمٍ قَضَى نَحْبًا أَخِي فَارْتَقَى إِلَى
 جِنَانٍ لَهُ فِيهَا نَبِيُّ الرِّضَا أَوَى^(٨)
 فَمَا ارْتَدَّ مِنْ وَقَعِ السَّهَامِ عَنَاةُ
 إِلَى أَنْ أَتَاهُ الْفَوْزُ رَاغِمٌ مِنْ غَوَى^(٩)

(١) في "أ"، و"ت" به جرت. و: ممن به.

(٢) الأصبجي هو إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي (توفي ١٧٩هـ). عج: أقبل والتفت.

(٣) فانحنا: اقدم، وتمثل طريقنا. البصري: أراد الحسن البصري.

(٤) في "ت" وإنا سقينا. والبيض: السيوف. والسمر: الرماح.

(٥) خنق النطاح: المكان الذي وقعت فيه المعركة المتناولة في النص، وهو قريب من وهران وكانت بقيادة

محيي الدين والد الأمير عبد القادر. و في "ت": لها لوى.

(٦) هامة: رأس، وشوى: متتال، متتابع.

(٧) في "أ" و"ن" جوى، وفي "ت" مرارا. وكلمته رماحهم: أصابته رماحهم، والجوى: الحزن الشديد.

(٨) أراد بأخي ابن أخيه أحمد بن محمد سعيد الذي استشهد في معركة خنق النطاح الثانية: والبيت فيه

معنى من قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب: ٢٣.

(٩) في "ت" يرغم من عوى. وأراد بأتاه الفوز استشهاده في سبيل الله والذود عن الوطن.

وَمِنْ بَيْنَهُمْ حَمَلَتْهُ حِينَ قَدْ قَضَى
وَكَمْ رَمِيَّةٌ كَالنُّجْمِ مِنْ أَفْقِهِ هَوَى
وَيَوْمَ قَضَى تَحْتِي جَوَادُ بَرْمِيَّةٍ
وَبِي أَحْدَقُوا لَوْلَا أَوْلُو الْبَأْسِ وَالْقَوَى ^(١)
وَأَسْيَافُنَا قَدْ جُرِدَتْ مِنْ جِفُونِهَا
وَرُدَّتْ إِلَيْهَا بَعْدَ وَرْدٍ وَقَدْ رَوَى ^(٢)
وَلَمَّا بَدَأَ قِرْنِي بِيَمْنَاهُ حَرْبُهُ
وَكَفَى بِهَا نَارَ بَهَا الْكَبْشُ قَدْ شَوَى ^(٣)
فَأَيَّقَنَ أَنِّي قَابِضُ الرُّوحِ فَا نَكَفَا
يُؤَلِّي فَوَافَاهُ حُسَامِي مُدَّ هَوَى
شَدَدْتُ عَلَيْهِ شِدَّةً هَاشِمِيَّةً
وَقَدْ وَرَدُوا وَرِدَ الْمَنَآيَا عَلَى الْغَوَى ^(٤)
نَزَلْتُ بِبَرْجِ الْعَيْنِ نَزْلَةً ضَايِغٍ
فَزَادُوا بِهَا حَزْنًا وَعَمَّهُمُ الْجَوَى ^(٥)
وَمَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِكُلِّ مَهْنَدٍ
وَكُلِّ جَوَادٍ هَمُّهُ الْكَرَّ لَا الشَّوَى ^(٦)
وَذَا دَابُّنَا. فِيهِ حَيَاةٌ لَدِينُنَا
وَرُوحُ جِهَادٍ بَعْدَمَا غُصِنَتْهُ ذَوَى ^(٧)

(١) أَوْلُو الْبَأْسِ: جنوده المسلمون.

(٢) الْجَفُونُ جَمْعُ الْجَفْنِ: غمد السيف (م).

(٣) فِي "ت": يَشْتَوِي، وَالْقِرْنُ: الْخَصْمُ وَالْكَفَاءُ. وَالْكَبْشُ هُنَا زَعِيمُ الْقَوْمِ.

(٤) فِي "ت": عَلَيْهِمُ. وَالْغَوَى: الضَّلال.

(٥) بَرْجُ الْعَيْنِ: مَكَانٌ يَقَعُ غَرْبُ مَدِينَةِ وَهْرَانَ. وَقَدْ وَقَعَتْ فِيهِ مَعْرَكَةٌ بَعْدَ مَعْرَكَةِ خَنْقِ النَّطَاحِ وَكَانَ الْجَيْشُ الْإِسْتِعْمَارِيُّ بِقِيَادَةِ الْجَنَرَالِ "بُوِيَه" حَاكِمَ وَهْرَانَ آنَ ذَاكَ.

(٦) الشَّوَى: التَّقَهُّقُ وَالْإِنْسَحَابُ، وَالْبَيْتُ فِيهِ مِنْ بَيْتِ عَنْتَرَةَ: «مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثَغْرَةِ نَحْرِهِ...»

(٧) وَأَرَادَ «بَذَوَى الْغَصَنِ» التَّخْلِيَّ عَنِ الْجِهَادِ، وَقَبُولَ الْهَوَانِ وَالذُّلِّ، وَالْإِسْتِكَانَةَ.

جَزَى اللَّهُ عَنَّا كُلَّ شَيْءٍ بِهِ
 لَخْغَرِيْسُ لَهَا فَضْلُ أَتَانَا وَمَا انْزَوَى ^(١)
 فَكَمْ أَضْرَمُوا نَارَ الْوَعَى بِالظُّبَا مَعِي
 وَصَالُوا وَجَالُوا وَالْقُلُوبُ لَهَا اشْتَوَا ^(٢)
 وَإِنَّا بَنُو الْحَرْبِ الْعَوَانِ لَنَا بِهَا
 سُرُورٌ إِذَا قَامَتْ وَشَانِنُنَا عَوَى ^(٣)
 لَذَاكَ عَرُوسُ الْمَلِكِ كَانَتْ خَطِيبَتِي
 كَفَجَاءَةِ مُوسَى بِالنَّبُوءَةِ فِي طُوَى ^(٤)
 وَقَدْ عَلَّمْتَنِي خَيْرَ كَفَاءٍ لَوْصَلَهَا
 وَكَمْ رَدُّ عَنْهَا خَاطِبٌ بِالْهَوَى هَوَى
 فَوَاصَلْتُهَا بَكْرًا لَدِي تَبَرَّجْتُ
 وَلِي أَذْعَنْتُ وَالْمَعْتَدِي بِالنَّوَى نَوَى
 وَقَدْ سَرْتُ فِيهِمْ سِيرَةً عُمَرِيَّةً
 وَأَسْقَيْتُ ظَامِيهَا الْهَدَايَةَ، فَارْتَوَى ^(٥)
 وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا الَّذِي
 يَنْيِرُ الدِّيَاجِي بِالسَّنَا بَعْدَمَا لَوَى ^(٦)

(١) غريس : قبيلة من قبائل غرب الجزائر، وقفت إلى جانب الأمير عبد القادر في جهاده.

(٢) اشتوا: مخففة من اشتواء

(٣) في "أ"، و"ت": هالنا. الشانن: الكاره الحاقده، والباغض.

(٤) ذهب في البيت إلى أنه فوجيء بالإمارة كما فوجيء موسى عليه السلام بالنبوة في الوادي المقدس.

(٥) سيرة عمرية : أراد عمر بن الخطاب في عدله، وحزمه وتقواه.

(٦) لوى : خمد وانطفأ وطوي. والسنا: الضياء.

بجاء ختام المرسلين مُحمدٍ
أجل نبيٍّ كلِّ مكرمةٍ حوى
عليه صلاة الله ثم سلامه
وألِ وصحبٍ ما سرى الركبُ للوى
وما قال بعد السير والجِدِّ منشدٌ :
"توسدُ بمهدِ الأمنِ قد مرَّتِ النوى"

ب - الفـزل

— |

| —

— |

| —

مسلوب الرقاد (*)

[من الوافر]

أَلَا قُلْ لِيَأْتِي سَلَبَتْ فُؤَادِي
وَأَبْقَتْ نِي أَهْيَمُ بِكُلِّ وَادٍ: ^(١)
تَرْكُتِ الصَّبَّ مَلْتَهَبًا حَشَاهُ
حَلِيفَ شَجَى يَجُوبُ بِكُلِّ نَادٍ: ^(٢)
وَمَا لِي فِي اللِّذَائِذِ مِنْ نَصِيبٍ
تُودَعُ مِنْهُ مَسْلُوبَ الرِّقَادِ

(*) قالها في ابنة عمه.

(١) مقطوعة في "أ"، ص: ١٧ و"ص"، ص: ١٣٥ وفي "أ" و"ص" وادي. يبدو أثر القرآن الكريم واضحاً في شعر الشاعر، فقوله: "أهيم بكل واد" مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ الشعراء: ٢٢٥ .

دموع ونار^(*)

[من الطويل]

إِلَامَ فُؤَادِي بِالْحَبِيبِ هَتُورٌ؟ نَجُونَارُ الْجَوَى بَيْنَ
 خُصَايَا وَغُورِ تَنْزِيلِ
 وَحُزْنِي مَعَ السَّاعَاتِ يَرْبُو مَجْدًا
 وَلَيْلِي طَوِيلٌ وَالْمَنَامُ نَفُورٌ
 وَحَتَّى مَتَى أُرَعَى النُّجُومَ مُسَامِرًا
 لَهَا وَدُمُوعَ الْعَيْنِ ثَمَّ تَفُورُ؟
 أَبَيْتُ كَأَنِّي بِالسَّمَاكِ مَوْكَلٌ
 وَعَيْنِي حَيْثُ الْجَدْيُ دَارَ تَدُورُ^(٢)

(*) قالها في ابنة عمه كذلك.

(١) المقطوعة في "أ"، ص: ٥٤، و"ص"، ص: ٢٠٨، وفي "أ" وقلبي. وهتور: مولع دنف.

مَنْوَا بَلْقِيَاكُم (*)

[من الطويل]

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْبَعْدُ تَأْدِيبَ مَذْنَبٍ
فَإِنَّا بِهِذَا الْقَدْرِ صَرْنَا عَلَى شَفَا^(١)
وَإِنَّا لَنَخْشَى أَنْ تَطَاوَلَ بَعْدُكُمْ
يَصِيرُ لَكُمْ سَلْوَى فَلَا يُرْتَجَى شِفَا
فَمَنْتُوا بَلْقِيَاكُم وَالْأَفْلا بَقَا
وَرِيحُ الْفَنَّا تَسْفِي عَلَيْنَا إِذَا سَفَا^(٢)

(*) قالها في ابنة عمه كذلك.

(١) المقطوعة في "ص"، ص: ٢٤٢ [وقوله «صرنا على شفا»: شفى كل شيء حرفه؛ يقول: إنه صار على شفا مشكلة أو مصيبة..] (م).

يَتِيهِ بَدَلُهُ عَمْدًا (*)

[من الوافر]

أَوَدَّ بَأَنَّ أَرَى ظَبِي الصَّحَارَى
وَأَرْقُبَ طَيْفَهُ وَاللَّيْلُ سَارٍ^(١)
وَأَطْلُبُ قَرْبَهُ، فَيَزِيدُ بُعْدًا
قَدِيمًا مِنْ وَصَالٍ فِي نَفَارٍ^(٢)
وَهَذَا الظَّبْيُ لَا يَرَعَى ذِمَامًا
وَلَا يَرْضَى مَوَانِسَةً لِجَارٍ^(٣)
يَتِيهِ بَدَلُهُ وَيَصُولُ عَمْدًا
غَنِيٌّ بِالْجَمَالِ فَلَا يُدَارِي
أَمَازِحُهُ فَلَا يَرْضَى مَزَاحًا
وَأَسْأَلُهُ الْمَرَاءَ فَلَا يُمَارِي^(٤)
وَيُعْتَبِنِي فَيَكْسُو الْقَلْبَ بَسْطًا
لَأَنَّ الْعَتَبَ يَطْفِي حَرُّ نَارِي
فَإِنْ هُوَ لَمْ يَجِدْ بِالْوَصْلِ أَصْلًا
وَيُذِنُ الطَّيْفُ مِنْ سَكَنِي وَدَارِي

(*) موجهة لابنة عمه كالكصائد السابقة.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ١٧، و "ص"، ص: ١٥٨، ١٦٠ و "ت"، ص: ٥٤، وفي "أ" ساري.

(٢) في "أ" من وصالي.

(٣) في "ص" ولا يرعى مؤانسة.

(٤) خرج الشاعر ب (المراء) عن المعنى المعروف إلى مقتضى المغازلة وما هو بسببه من قول أو ممازحة.

أَقُلْ لِنَفْسٍ : وَيَكِ الْآفِئُوِي
وموتي فآلقضاء عليك جَارِ!!^(١)
ويسألُبني الحياة إِذَا تَبَدَّى
بوجه في الإضاء كالنَّهارِ

(١) في "أ" جاري.

بنت العم (*)

[من الوافر]

أَقَاسِي الحَبِّ مِنْ قَاسِي الفَوَادِ
وَأَرَعَاهُ وَلَا يَرَعَى ودَادِي^(١)
لِخَارِيدُ حَيَاتِهَا وَتَرِيدُ قَتْلِي لِحَبْهَجَرٍ أَوْ بَصْدُ
أَوْ بَعْدُ عَادِ^(٢)
وَأَبْكِيهَا فَتَضْحَكُ مَلءَ فِيهَا
وَأَسْهَرُوهِي فِي طَيِّبِ الرِّقَادِ
وَتَعْمَى مَقْلَتِي إِمَّا تَنَاءَتْ
وَعَيْنَاهَا تَعْمَى عَنْ مَرَادِي^(٣)
وَتَهْجُرُنِي بِلَا ذَنْبٍ تَرَاهُ
فَظَلَمِي قَدْ رَأَتْ دُونَ الْعَبَادِ
وَأَشْكُوهَا الْبَعَادَ وَلَيْسَ تَصْغِي
إِلَى الشُّكْوَى وَتَمَكْتُ فِي أَزْدِيَادِ
وَأَبْذُلُ مَهْجَتِي فِي لَثَمِ فِيهَا
فَتَمْنَعُنِي وَأَرْجِعُ مِنْهُ صَادِ^(٤)
وَأَغْتَفِرُ الْعَظِيمَ لَهَا وَتُحْصِي
عَلَيَّ الذَّنْبَ فِي وَقْتِ الْعُودِ
وَأَخْضَعُ ذُلَّةً فَتَزِيدُ تِيهَا
وَفِي هَجْرِي أَرَاهَا فِي اشْتِدَادِ

(*) تغزل فيها بابنة عمه التي هي زوجته

(١) القصيدة في "أ" ص: ٣١، ٣٠ وفي "ص" ص: ١٣٣، ١٣٥، و: "ن" ص: ٤٦، ٤٥ .

(٢) في "أ" بعادي. [وفي البيت تضمين قول الشاعر عمرو بن معد يكرب:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مُرادٍ (م).

(٣) في "أ" مقلتي إن ما رأتها.

(٤) وجه الكلام أن يقال: أرجع منه صادياً، والصادي: العطشان (م).

فَمَا تَنْفَكُ عَنِّي ذَاتَ عَزٍّ
وَمَا أَتُفَكُّ فِي ذُلِّي أَنَا بَدِي
فَمَا فِي الذَّلِّ لِلْمَحْبُوبِ عَارٌ
سَبِيلُ الْحَبِّ ذُلٌّ لِلْمَرَادِ^(١)
رَضَا الْمَحْبُوبِ لَيْسَ لَهُ عَدِيلٌ
بَغَيْرِ الذَّلِّ لَيْسَ بِمُسْتَفَادٍ
أَلَا مَنْ مَنَصَفِي مِنْ ظَلْبِي قَفَرٍ
لَقَدْ أَضَحَتْ مَرَاتِعُهُ فَوَادِي^(٢)!!
وَمِنْ عَجَبِ تَهَابِ الْأَسَدِ بَطْشِي
وَيَمْنَعُنِي غِزَالٌ عَنْ مَرَادِي
وَمَاذَا؟! غَيْرَ أَنَّ لَهُ جَمَالاً
تَمَلِّكَ مَهْجَتِي مَلِكِ السَّوَادِ^(٣)
وَسُلْطَانُ الْجَمَالِ لَهُ اعْتِزَالٌ
عَلَى ذِي الْخَيْلِ وَالرَّجُلِ الْجَوَادِ^(٤)
وَهَذَا الْفَعْلُ مَغْتَفَرٌ وَزِينٌ
إِذَا - يَوْمًا - أَبَيْتُ عَلَى مَعَادٍ
فَإِنْ رَضِيتُ عَلَيَّ أَرْتُ مُحَايَاً
بَشُوشاً بِالمَلَا حَةَ ظَلٍّ بَادٍ^(٥)

(١) في "أ" سبيل الجد.

(٢) ظلي قفر : كنى به عن المرأة.

(٣) يقال السواد للعين، ويُستعار للقلب «سويداء القلب» (م).

(٤) ذو الخيل : الفارس الشجاع، وأراد بالرجل الجواد : أن الكريم يجود للجمال بإبائه، وعزمه ويخضع له.

(٥) في "أ" ضل بادي [يريد ظل بادياً] (م).

خَلِيلِي !! إِنَّ أَتَيْتَ إِلَيَّ يَوْمًا
بَشِيرًا بِالْوَصَالِ وَبِالْوُدَادِ
فَنَفْسِي بِالْبَشَارَةِ إِنَّ تَرْمُهَا
فَخِذَهَا بِالطَّرِيفِ وَبِالْتَلَادِ^(١)
إِذَا مَا النَّاسُ تُرْغِبُ فِي كُنُوزِ
فَبِنْتُ الْعَمِّ مَكْتَنَزِي وَزَادِي

(١) الطريف : الجديد، والتلید : القديم.

جودي بطيف(*)

[من الطويل]

جفاني من أم البنين خيال
فقلبي جريح والدموع سجال^(١)
ولو قلت : دمعي قد ملكت فكاذب
بدعوأي بل ذا غرة وضلال^(٢)
وبي مايزيل العقل عن مستقره
فلا تعجبوا إن قيل : فيه خبال^(٣)
وماهي إلا الروح بل إن فقدتها
فإن بقائي دونها محال
أحب الليالي كي أفوز بطيفها
وأرجو المنى بل قد أقول : أنال
أكلف جفني النوم علي أن أرى
مثالاً لها يسري وليس مثال
فقولوا لها : إن كنت ترضين عيشتي
فجودي بطيف إن يعز وصال^(٤)
فينعم قلبي والجوارح كله
وإلا فعيشي محنة ووبال

(*) قالها مناجياً زوجته.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٣١، ٣٢ و"ص" ص: ٢٦٠، ٢٦١ و"ن" ص: ٥٤ وسجال : متدفقة منهمة.

(٢) في "أ" ذا عزة [و: غرة، بكسر الغين، أي خداع].

(٣) في "أ" من مستقرة. والخبال: فاقد العقل، أو القريب من ذلك.

(٤) في "أ" ترضي بعيشي [يعز: يصعب ويتعذر] (م).

فراقك نار(*)

[من الطويل]

أقولُ لمحبوبٍ تخلف من بعدي
عليلاً بأوجاع الفراق وبالبُعْدِ^(١)
أما أنت - حقاً - لو رأيت صبابتي
لهان عليك الأمر من شدة الوجد
وقلت: أرى المسكين عذبه النوى
وأنحله - حقاً - إلى منتهى الحد
وساءك ما قد نلت من شدة الجوى
فقلت: وما للشوق يرميك بالجد؟!^(٢)
وإني - وحق الله - دائم لوعاة
ونار الجوى بين الجوانح في وقد^(٣)
غريق أسير السقم مخلوم الحشا
حريق بنار الهجر والوجد والصد^(٤)
غريق حريق هل سمعتم بمثل ذا؟!
ففي القلب نار والمياه على الخد
حنيني أنيني زفرتي ومضرتي
دموعي خضوعي قد أبان الذي عندي^(٥)

(*) قال القصيدة في زوجته عندما كان في إسطنبول، وأرسلها إليها في بروسة، ضمنها تشوقه إليها.

(١) القصيدة في "أ" ص: ٣٢، ٣٣ و: "ت" ص: ٥٩٥، و"ص" ص: ١٤٤، ١٤٨ و"ن" ص: ٤٣، ٤٤

(٢) في "ت": أرمك بالجد. والجوى: حرقه الوجد، وشدته.

(٣) في "ت" فإني - وحق الله -

(٤) لا يستقيم الوزن إلا بتنوين ميم (مكلوم) على معنى (الحشا مكلوم)؛ ويكون قوله: مكلوم الحشا، جملة

اسمية، المبتدأ فيها مؤخر (م).

(٥) في "أ"، و"ت": أبانوا لما عندي.

ومنْ عجبٍ صبري لكلِّ كريهةٍ
 وحَمَلي أثقالاً تجلُّ عن العدِّ^(١)
 ولستُ أهَابُ البِيضَ كلا ولا القنأ
 بيومٍ تصير الهامُ للبيضِ كالغمدِ
 ولا هالني زحفُ الصفوفِ و صوتُها
 بيومٍ يشيب الطفلُ فيه مع المُرَدِ
 وأرجأؤه أضحتْ ظلاماً و برقه
 سيوفاً وأصواتُ المدافعِ كالرعدِ^(٢)
 وقد هالني بل قد أفاضَ مدامعي
 وأضنى فؤادي بل تعدى عن الحدِّ^(٣)
 فراق الذي أهواه كهلاً و يافعاً
 وقلبي خليٌّ من سعاد ومن هُندِ
 فحلَّتْ محلاً لم يكن حلَّ قبلَها
 وهيَّاتُ أن يحلَّ به الغيرُ أو يجدي^(٤)
 وقد عرَّفَتني الشوقَ من قبلُ والهوى
 كذا والبكا - يا صاح - بالقصر والمدِّ
 وقد كلَّفَتني الليلَ أرعى نجومه
 إذا نأمه المرتعُ بالبعد والصدِّ^(٥)
 فلو حَمَلْتُ رضى من الشوق بعضَ ما
 حَمَلْتُ لذاب الصخرُ من شدَّةِ الوجدِ

(١) في "أ"، و"ت": لأثقال.

(٢) في "ت": سيوف وأصوات.

(٣) يقال تعدى الأمر (دون حاجة إلى الأداة: عن) (م)

(٤) في البيت ضرورة شعرية هي عند النقاد والعروضيين ضرورة قبيحة في جزم الفعل المضارع «يحلل» وحقه النصب بأن. وكلمة (يُجدي) تحتها نظر وإن ثبتت في المصادر المطبوعة كذلك.

أَلَا هَلْ لِهَذَا الْبَيْنِ مِنْ آخِرٍ؟ : فَقَدْ
تَطَاوَلَ حَتَّى خِلْتُ هَذَا إِلَى الْخُدِ
أَلَا هَلْ يَجُودُ الدَّهْرُ بَعْدَ فِرَاقِنَا؟!
فَيَجْمَعُنَا وَالدَّهْرُ يَجْرِي إِلَى الضَّدِّ
وَأَشْكُوكَ مَا قَدْ نَلْتُ مِنَ أَلَمٍ وَمَا
تَحْمَلُهُ ضَعْفِي وَعَالَجِهِ جَهْدِي
لَكِي تَعْلَمِي - أُمُّ الْبَنَيْنِ - بَأْنَهُ
فِرَاقُكَ نَارٌ وَاقْتِرَابُكَ مِنْ خُلْدِ

أرضى بطيف خيال^(*)

[من البسيط]

أحبابَ قلبي !! كم بيني وبينكم
من أبحر وصفها قد دقَّ عن حدٍّ^(١)
تحرَّارُ فيها القطا، والعيُّ يدركها
حتى الجهاتُ بها تخفى عن القصْدِ
مَا كنتُ أدري بأن الدهرَ يبعدكم
عني ويتركني - من بعدكم - وحدي
قدَّ خانني الصبرُ ما أجدى بمنفعة
سيلُ المدامِ قدَّ سالتُ على خدي^(٢)
والطَّيفِ مثَّل لي أوصافكم فبدا
بشرى ومدَّ قمتُ غير الحزنِ ما عندي^(٣)
هل الغزالُ الذي أهواه يسعدني
بالوصلِ يوماً كما قدَّ كان في العهدِ ؟
هل النفورُ الذي أهواه يسعدني
بالقربِ من بعد ما أبدى من الصدِّ ؟
يا ذا النفور الذي في القلبِ مرتعهُ !
ارتعَّ به لا تُرعَ فالصبُّ في بُعدِ
إني وإن كنتُ منِّي نافرًا فلقد
أرضى بطيفِ خيالٍ منك لا يجدي

(*) أرسل هذه القصيدة إلى ولده في بروسة، وهو في باريس بعد إطلاق سراحه، ورحلته الأولى إليها في ١٢٧١هـ.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٣٢، و"ت"، ص: ٥٩٤. و"ص"، ص: ١٣٨، ١٣٧ وفي "أ"، و"ت"

قد صين عن حد، وهو من صان يصون بني للمجهول.

(٢) في "أ"، و"ت" سوى المدام.

(٣) أي قمت من النوم. ولما صحا ذهب عنه طيفها فاغتم لذلك (م).

ذات خلخال (*)

[من الطويل]

خليلي ! وافت منكم ذات خلخال
تتية على شمس الظهيرة بالخال^(١)
تميس فتزري بالغصون تمايلاً
تروح وتغدو في برود من الخال^(٢)
لها منطق حلوبه سحر بابل
رخيم الحواشي وهو أمضى من الخال^(٣)
موشحة من طرركم ببدائع
محجبة عن كل ذي فطنة خال^(٤)
وكسوتها النعماء من كل محسن
يصد لمرأها الشجاع كما الخال^(٥)

(*) القصيدة جاءت معبأة بالبديع مجارة من الشاعر للشاعر داوود البغدادي الذي مدح الأمير بقصيدة طافحة بالبديع مطلعها :

جاءت مبشرة الأحباب بالبشر
حيث فأحييت بنشر ميت البشر
صببت على الصب أنواع التفاضل إذ
سمرت ففسرت معني بالغرام سري

وهي في "أ" : ص ٣٧ ، ٣٨ و "ص" : ص ٢٦٢ ، ٢٦٦ . [وقد سمى المعلم بطرس كرامة قصيدته التي تنتهي بكلمة «الخال» باسم القصيدة الخالية، وباسم القصيدة ذات الخال «راجع: سجع الحمامة ص ٣٢٢ وص ٣٦١» ولا شك أن أصداءها كانت في أدنى الأمير عبدالقادر، فأدلى بدلوه للمعارضة ولإثبات التمكن أيضاً] (م).

- (١) الشامة، أو الخيلاء. وذات خلخال كناية عن قصيدة البغدادي التي مدح بها الأمير.
- (٢) الخال برد يمانى. وتميس : تتعطف، وتتمايل.
- (٣) الخال هنا : البرق، وبابل مدينة قديمة بالعراق يضرب بها المثل لجمالها.
- (٤) خالي البال، والبدائع المحجبة : المواهب المختلفة.
- (٥) الخال : الجبان الرعديد وهي من الأضداد.

فَمَا نَسَجَ دَاوُودُ كَنَسَجٍ عَنَّاكِ
 وَلَا الْغَادَةُ الْهَيْفَاءُ تَزْهُو بِخُلْخَالٍ^(١)
 وَمَا عَيْبُهَا إِلَّا التَّغْرُبُ فِي الْوَرَى
 فَلَمْ تَلْقَ مِنْ أُخْتٍ لَهَا لَا وَلَا خَالٍ^(٢)
 أَتَنْنِي عَلَى بَعْدٍ وَلَمْ يَثْنِ عِزْمَهَا
 مَهَامِهِ فَيَحُ لَا وَلَا سَطْوَةُ الْخَالِ^(٣)
 تَعَسَفَتِ الْفَيْفَاءُ فِي غَسَقِ الدَّجَى
 فَكَمْ قَطَعَتْ نَهْرًا مِنَ الْخَيْلِ وَالْخَالِ^(٤)
 أَتَنْنِي - فَدَثَّهَا النَّفْسُ - فِي حَيْنِ غَفْلَةٍ
 فَقُلْتُ لَهَا: أَهْلًا فَذَا وَقْتُنَا خَالٍ^(٥)
 وَأَفْرَشْتُنَّهَا خَدْيِي وَقُلْتُ لَهَا : طَّيِّي
 فَلَا تَحْسَبِي خَدْيِي عَلَيْكَ بَذِي خَالٍ^(٦)
 وَلَمَّا تَطَارَحْنَا الْأَحَادِيثَ بَيْنَنَا
 وَأَحْلَى تَلَاقي الْخَلِّ بِالْمَنْزِلِ الْخَالِ^(٧)
 وَعَنْكُمْ غَدَتْ تُنْبِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
 وَإِنْ وَدَادِي الْيَوْمَ أَرَسَى مِنَ الْخَالِ^(٨)

(١) أسورة تلبس في ساق المرأة، والبيت فيه تمثل قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ الأنبياء: ٢١.

(٢) أخو الأم.

(٣) الشجاع. والمهامه : جمع المهمة والمهمة: المفاضة البعيدة.

(٤) الفيفاء: الفلاة. الغسق: شدة ظلمة الليل. الخال: الفارس.

(٥) وقتنا خال : فارغ.

(٦) بذى خال : اختيال. والمراد أنه لا يتمنع من ذلك بل يبادر إليه (م).

(٧) المنزل الفارغ.

(٨) أرسى من الخال : الجبل العظيم.

وأبثثتها وجدي وما بين أضلعي
من البعد والأشواق والدمع كالخال^(١)
وحدثتها عن لوعتي وتحرُّقي
وقطع الليالي بالتأمل كالخالي^(٢)
تكاد لذكرهم تذوب حشاشتي
ومالي سواهم من ولي ولا خال^(٣)
ولو لا الأمانى كنت ذبت من الأسى
أقول : كئيب نال ذلك من خال^(٤)
أروح نفسي بالأمانى راجياً
سماحة دهرٍ ضن يرجع كالخال^(٥)

(١) والدمع كالخال : المطر أو السحابة الماطرة.

(٢) بالتأمل كالخال : الملازم للشيء لا ينفك عنه.

(٣) ولاخال : الأمير، والحشاشة : بقية الفؤاد.

(٤) من خال: من ضعيف القلب.

(٥) يرجع كالخال: الرجل السمج الكريم. وأروح: أخفف من الهموم. وذن : بخل..

(*) قال المقتوعة إجابة عن سؤال طرح في مجلس من مجالس الأمير بفرنسا وهو: "هل للحب دواء؟".
فاختلف في شأنه، فمنهم من عده مرضاً ومنهم من عده طبيعة، وكتب الشيخ الشاذلي أبياتاً في
الموضوع وبعث بها إلى الأمير، ومطلعها:

«أيها أهل فن الطب بالله خيروا
أوجد للصب النحيل دواء؟ نهكت سقاماً لم أجد لي شافياً
فقل لبي من غير الخليل هواء»

فرد عليه الأمير بتج ليس للحب دواء تج. (١) في تج أ تج رجال الحب. (٢) حق العبارة أن تكون «أصبح
نائياً» من جهة النحو. وفي «الحب النائي» هنا غرابة. والمراد - كما يمكن أن نستظهر - : الحب حين
يوغل في النفس، ويتغلغل عميقاً (أو بعيداً) في القلب (م).

ليس للحب دواء (*)

[من الطويل]

سألت رجال الطبَّ أَخْبَرَ كُلُّهُمْ
وهم أهل تجريبٍ وأهل ذكاء: (١)
بأنَّ سقيمَ الحبِّ هيهات! ماله
دواءٌ إذا ما الحبُّ أصبحَ نائي (٢)
عسى ولعلَّ الله أن يبرِّدَ الأسي
فإنَّ رجاءَ الوصلِ بعضُ دواءٍ
ولو لم يكن للعاشقين تقربُ
لوقتٍ وصالٍ مابقوا لمساءٍ!
وإن دامَ هجرُ الحبِّ أو زادَ بيئتهُ
فذلك داءٌ لم يزلْ بشفاءٍ
وفي من مضوا في شرعةِ الحبِّ والهوى
له أسوةٌ فليصبرنَّ لبلاءٍ

(*) جرى حديث عن الخدود المشرطة في الطائف أيام كان الشاعر هناك في عام ١٢٨٠هـ لأداء مناسك الحج

فذكر بعض الأدباء في جلسة من الجلسات أبياتاً في ذلك، ومنها:

«رأيت لها شرطاً على الخد قد حوى

جمالاً وقد زاد الملاحاة بالقطر

فقلت: مرادي اللثم. قالت بخلوّة

فقبلتها ألفاً على ذلك الشرط»

فاستهجن الأمير ذلك ورد بقصيدته «باللحظ»

(١) القصيدة في: "ت"، ص: ٧٠١. و "ص"، ص: ١٢١، ١٢٢.

(٢) التخديد: الشق، وأراد الشرط، والتشريط الموصوف في البيتين المذكورين في حاشية القصيدة (م).

(٣) في "ت": بالسود.

(٤) يختشي: أراد يخشى، وهي عامية اقتضاها الوزن.

(٥) بعد (زها) وقف تام (م).

ج- مساجلات

— |

| —

— |

— |

متى ينقلب نحسي(*)

[من البسيط]

أُخِيَّ ! نلتَ الذي قَدْ كُنتَ تَطْلُبُهُ
وَفَرَّتْ دُونِي بِمَا تَرْجُو وترغْبُهُ^(١)
وساعدتْكَ الليالي لا شَقِيتَ فِدْمُ
قَرِيرَ عَيْنٍ بِوَصْلِ لَيْسَ تُسَلِّبُهُ^(٢)
قَدْ طَابَ فِي طَيِّبَةِ الْغُرَى مَقَامُكُمْ
جَوَارَ مَحْبُوبِنَا مَنْ كُنتَ تَرْقُبُهُ
يَاهْلُ تَرَى ! مِثْلَمَا فَرَّتُمْ أَفُوزُ؟ وَهَلْ
تَعْلُو سُعُودِي عَلَى نَحْسِي فَتَقْلُبُهُ !؟

(*) الأبيات بعث بها الأمير عبد القادر إلى كاتبه "قدور بن رويلة" بعدما أطلق سراحه من السجن وتوجه إلى المدينة المنورة.

(١) الأبيات في "أ"، ص: ١٢، و"ت"، ص: ٤٦١ و"ص"، ص: ١١٧.

(٢) في "أ" لست تسليه، وكذلك في "ت".

أهلاً بالحبیب(*)

[من الكامل]

أهلاً وسهلاً بالحبیب القادم
هذا النهار لدي خير مواسم^(١)
جاء السرور مصاحباً لقدومه
وانزاح ما قد كان قبل ملأ زمي
أفديك بالنفس النفيسة زائراً
من غير مامن ولست بنادم
طالت مساء لتي الركاب تشوقاً
لجمال رؤية وجهك المتعاضم
لاغرو إن أحببتكم من قبل ما
شاهدتكم أنتم جمال العالم
كانت على سمعي تغار نواظري
حتى رأيتك أنت أنت مكالم^(٢)
عندي الأيدي البيض حيث أريتني
ما كان قبلاً في يقين العالم
والآن صرت من اليقين بحقه
وبعينه أن السرور منادمي
أسمي قطب العارفين ! لك العلا
متبوئاً منه أجل معالم

(*) عندما سمح الفرنسيون لبعض علماء المغرب العربي بزيارة الأمير في قصر أمبواز قرب باريس، زاره "محمد الشاذلي القسنطيني"، وهو قطب من أقطاب الصوفية، واستقبله الأمير بالقصيدة هذه.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ١٨، و"ت"، ص: ٥٣٣، و"ص"، ص: ٢٨٧، ٢٨٨ .

(٢) في "ت" حتى رأيتك وأنت.

أنت الذي في الفضل أصبح مفرداً
لِعَلاءِ مَا مِنْ مُدَّعٍ وَمُزَاحِمٍ
لَا زِلْتَ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةَ طَالِعاً
بِالسَّعْدِ ذَا فَضْلٍ وَخِدْنٍ مَكَارِمٍ^(١)

(١) في "ت" النقية طالعاً والنقبة : العاقبة. و الخدن : الصاحب. وقد رد الشاذلي على القصيدة بأبيات مطلعها :

«سَلَامٌ عَلَى كَمِ طَالِ شَوْقِي إِلَيْكُمْ

وَقَلْبِي سَوَاكُم فِي الْبَرِيَّةِ مَا أَحَبُّ».

انظرها في "ت"، ص : ٥٣٣. و"ص"، ص : ٢٨٨، و"ح"، ص : ٨٦، وفي "أ"، ص : ١٨

لا يَأْبَى الكرامة إلا (*)

[من الطويل]

نعم ولكم فضلٌ بأشرفِ دعوةٍ
غدوتُ بها - يا صاح - منشراحَ الصدر^(١)
وقد قيلَ : لا يَأْبَى الكرامةَ غيرُ مَنْ
له عرقٌ لؤمٍ لم يزل في الخُنا يسري^(٢)
لمجلسِكُم أعلى الكرامةِ عندنا
ولفظكُم أشهى إلينا من الدرِّ
ورؤيتُكم أجلى لهُمِّي وإنني
غنيتُ بها عن طلعةِ الشمسِ والبدرِ
عليك تحياتُ القبولِ تَكْرُماً
أيا واحداً - عندي يعدُّ - بذا العصرِ

(*) دعا الشاذلي الأمير إلى سمر ودبج الدعوة شعراً، انظرها في "ت"، ص: ٥٣٣، ٥٣٤، و"ص"، ص: ١٦٢
فأجابه الأمير بالقبول مع الشكر بالمقطوعة.

(١) الأبيات في "أ"، ص: ١٩، و"ت"، ص: ٥٣٤ و"ص"، ص: ١٦٢

(٢) في البيت معنى القول المأثور: "لا يَأْبَى الكرامة إلا اللئيم"، والخنا: الفحش والفساد.

نعملة الشفاء (*)

[من الطويل]

خليلي ! قل : لي كيف أمسيت ؟! إنني
تحملتُ حزناً منك يعياً له رضى (١)
لقد مرضتُ أرواحنا وجسومنا
لشكواكم يا ليت لا كانتِ الشكوى
فلا تبغ إتلافي فما لي طاقة
على الصبر - يا رحي - ولستُ له أقوى (٢)
وإنِّي لأرجو نعملة الله بالشفاء
عليك لتحظى بالسرور كما تهوى (٣)

(*) الأبيات قالها الشاعر عندما عاد صديقه محمد الشاذلي في مرضه ، فلم يجده في بيته، وتركها له في المنزل.

(١) الأبيات في "أ"، ص: ١٩، ٢٠، و: "ص"، ص: ١٠٩ [و «رضوى» اسم جبل مشهور يُضرب به المثل] (م).

(٢) في "أ" ولست لها.

(٣) في "أ" ينعم بالشفاء. وقد رد الشاذلي على الأبيات بأخرى أولها:

«بخير لقد أمسيت والقلب شيق

لأقياكم شوق المحب لن يهوى».

انظرها في المراجع المتقدمة.

ياقرة العين(*)

[من البسيط]

يا قرة العين! قل لي : كيف بتُ؟! فقد
- والله - بتُ وقلبي في لظى الحزن^(١)
ممّا عراكم عسى فيه أقاسمكم
أو حمْلُهُ كله لو كان يُمكنني
حتّى يتمّ لنا من صلحكم غرض
قد طالما كنت راجيه من الزمن^(٢)

(*) أبيات بعثها الأمير إلى الشاذلي صديقه يسأله فيها عن صحته..

(١) الأبيات في "أ"، ص : ٢٠، و "ت"، ص : ٥٣٤ و "ص"، ص : ٣٠٢ .

(٢) في "أ" راجية من الزمن. وفي "ت" قد كنت أمله من سالف الزمن..

الشوق يكتمه الأريب^(*)

[من الوافر]

بُنَيَّ! لئن دعاكَ الشوقُ يوماً
وحنَّتُ لَلْقائِنا القلوبُ^(١)
ورمتَ بأنْ تنالَ مِنِّي ووصلاً
يصحُّ بُعَيْدَهُ القلبُ الكئيبُ^(٢)
فإنني منك أولى باشتياقٍ
وناري في الفؤادِ لها لهيبُ
وإن أخفي اشتياقي في فؤادي
فإنَّ الشوقَ يكتُمُهُ الأريبُ

(*) مع غياب الشاعر الطويل لانشغاله بالجهاد، راسله ابنه باسم الأسرة متشوقاً إليه فرد على ابنه بهذه الأبيات.

(١) الأبيات في "أ"، ص: ١٢، و: "ت" ٤٦٠، و "ص" ص: ١١٨، و "ن"، ص: ٤٨ .

(٢) في "ت" سنا ووصلاً.

لا تعجل بلومك (*)

[من الطويل]

فديّناكَ لا تَعَجِّلْ بلومَكَ وانتظرْ
وَحَقُّكَ إِن الْعَتَبَ لِلْقَلْبِ أَوْجَعُ ^(١)
لَعَلَّ لَنَا عُذْرًا يَدَافِعُ عَتَبَنَا
وَصَدْرُكَ فِي تِلْكَ الْمَعَاذِيرِ أَوْسَعُ
وَإِنَّ مِنَ الْأَعْذَارِ مَا لَيْسَ ذِكْرُهُ
يَلِيْقُ وَمِنْهُ مُهْجَتِي تَنْقَطِعُ
وَلَسْتُ غَرِيبًا بَيْنَ قَوْمٍ أَحْبَبَ
مَكَانُكَ فِيهِمْ مِنْ بَنِي الدَّهْرِ أَرْفَعُ
فَكَمْ مِنْ حَزِينٍ مِنْ بِلَائِكَ وَالْه
يَبِيْتُ عَلَى فَرْشِ الضَّنَا يَتَوَجَّعُ
وَجَمْعِي بِكُمْ يَبْقُونَ جَمْعَ سَلَامَةٍ
بِدَارٍ بِهَا مَا لِلتَّفَرُّقِ مَنْزَعُ ^(٢)
وَجِئْتُ بِـ "لَوْلَا" فَاعْلَأْ لِجَوَابِهَا
عَلَى أَنَّهَا فِي النِّحْوِ قَدْ قِيلَ تُمْنَعُ
وَإِنْ كُنْتَ لَسَّاعًا فَكُنْ خَيْرَ حَيَّةٍ
وَكُنْ نَحْلَةً تَرِيأُفُهَا السَّمُّ يَدْفَعُ ^(٣)

(*) رد بها على عتاب صديقه الشاذلي الذي مرض ولم يزرها، و الذي كشف عنه في أبيات بدايتها:

تج مرضت غريباً بين قوم أعزّفتكهم عن زورتي مُتَمَنِّعٌ تج وهي في

المصادر نفسها التي فيها أبيات الأمير.

(١) القصيدة في: "أ"، ص: ٢١، و "ت"، ص: ٥٢٥، و "ص"، ص: ٢٣٠، ٢٣١ وفي "أ"، و "ت" واصطبر.

(٢) وجمعي: قصد جميع إخوانه.

(٣) في "أ" غير حية.

لا ندم ولا ملامة(*)

[من الطويل]

خليلي ! لا تندم على العتبِ للحبِّ
فإنَّ خفيفَ الحبِّ أنفعُ بالطبِّ^(١)
فمَّا ذاكَ مكروهٌ ولا بمحرَّمٍ
بشَّرعِ الهوى بل ذاك فرضٌ على الصبِّ
سبيلُ الهوى : هجرٌ ووصلٌ وفرقةٌ
وجمعٌ وخُلْفٌ بالزيارة والعتبِ
وهذي دواعٍ للعتابِ كثيرةٌ
لذا كانَ طولُ العتبِ ألزمَ للحبِّ
وقد قيل : يبقى الودُّ ما العتبُ باقياً
فلله ما أحلَّى مقالَ ذوي اللبِّ^(٢)
"إذا لم يكنْ في الحبِّ سخطٌ ولا رضى
فأينَ حلاواتُ الرسائلِ والكتبِ"^(٣)!
وأطيبُ أيامِ الهوى يومك الذي
ترَوَّعَ بالتعنيفِ فيه وبالسبِّ

(*) أثر رد الأمير على عتاب الشاذلي، فرد عليه الشاذلي نادماً في أبيات أولها :

"سلام يفوق المسك و الندى عرّفه" يعم حمى قوم كرام المافل

إلى أن يقول :

"ندمت على ما كان مني ونادم عقيب وقوع الفعل ليس بفاعل"

فلما قرأ الأمير ندم الشاذلي خفف رده على ندم الشاعر بالقصيدة "لا ندم ولا ملامة".

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٢٢، و"ت"، ص : ٥٣٦ و"ص"، ص : ١١٥ وفي "ت" خفيف العتب.

(٢) لي "أ" و"ت" ما العتب قد بقي، [وفي البيت إشارة إلى قول الشاعر (اللسان ع ت ب):

إذا ذهب العتاب فليس ودٌ ويبقى الود ما بقي العتابُ

ويقول الأمير عبدالقادر «ما العتب باقياً» فمن جهة النحو «ما» هذه تعمل عمل ليس وتفيد النفي وتسمى

الحجازية. ومراد الشاعر «ما» المصدرية الظرفية. فهو يقول: إن الود يبقى ما دام هناك عتاب [م].

(٣) البيت مضمّن (م).

يا كثير البعد (*)

[من مجزوء الرمل]

يَا مَـلُـوْلاً لَا يُـمَلُّ
كَيْفَ كَانَ الْيَوْمَ حَالُكَ ^(١)
يَا كَثِيرَ الْبَعْدِ عَنَّا
كَانَ كَالْغَدْرِ ارْتِحَالُكَ
كُنْتُ مِنْ ذَا فِي أَمَانٍ
فَبَدَا الْيَوْمَ مَحَالُكَ ^(٢)

(*) تحسنت صحة الشاذلي فغادر المستشفى دون علم الأمير، فلما عاده ولم يجده بعث إليه بهذه الأبيات.

(١) الأبيات في "أ"، ص : ٢٢، و"ت"، ص : ٥٣٦، ولم تثبت عند صبيام. وفي "ت" لا يمل، وأثبتنا ما فيه.

(٢) وقد رد الشاذلي على الأبيات بأخرى عن الأمير، وهي مثبتة في المصادر المتقدمة، [ومحال مصدر ماحله أي كايده وعاداه] (م).

ترك العادة ذنب (*)

[من الطويل]

سلامٌ عليكمُ دائمٌ متتابعٌ
له نفحة من دونهَا المسكُ والعطرُ^(١)
وبعدُ لعذرٍ قد قطعنا عوائدُ
تعودتْها يا أيها الماجدُ الحرُّ!
وإلا فإثباتُ الرغائبِ شرعنا
نرى تركها ذنباً له يُطلبُ الغفرُ
ولو أنني قاسمتُكم كلَّ مالنا
كما قاله الأنصارُ والفاضلُ الحبرُ^(٢)
لما جئتُ في معشارِ عشرِ حقوقكم
ولو كانَ ذا شيئاً يؤدّي به شكرُ

(*) اعتاد الأمير دعوة أصحابه إلى طعام حتى عودهم ذلك، ثم تَخلى عن تلك الدعوة فعاتبه الشاذلي في ذلك، الأبيات تبدأ بقوله:

«فرضتم عليكم للمقيم سنة تؤدونها بعد الفراغ من الفجر»

فرد عليه الأمير بأبياته المعنونة بـ «ترك العادة ذنب».

(١) الأبيات في "أ"، ص: ٢٣، و"ت"، ص: ٥٣٧، "ص"، ص: ١٧١.

(٢) الأنصار: أراد موقف الأنصار من المهاجرين في المدينة المنورة.

الجوع براني(*)

[من الطويل]

أما أن للخلّ المريض بأن يبرأ ؟!
فإنّ صحيحَ الجسم منه شكاً الضراً^(١)
توالت عليه جوعةٌ بعد جوعةٍ
أخوكم لها قد صار كالقلم المُبرأ^(٢)
به وكلّ الجوعُ المعطلُ للقوى
فلله ما أنكاهُ فينا وما أجراً^(٣) !
إذا نمتُ أمسى لي ضجيجاً ملازماً
وإن قمتُ أضحى كالغريم بنا مغرّ
وقد عشتُ أياماً بظلمٍ جنابكم
فلله عيشٌ ما ألدّ وما أُمراً !
إلى أن دهاننا الدهرُ يوماً بجدّه
بعاداتٍ بين ما أحدٌ وما أفرى^(٤) !

(*) التزم الشاذلي بالحمية طلباً للشفاء من مرضه فتضامن معه الأمير تخفيفاً عنه، ولما طال الأمر، اشتكى الأمير ذلك إلى صديقه الشاذلي داعياً له بالشفاء العاجل حتى يحرر من الحمية التي آتعبته، [وعبر الأمير عن ذلك تعبيراً لطيفاً نثراً ونظماً في تحفة الزائر: ٥٣٧] (م).

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٢٣، ٢٤ و"ت"، ص: ٥٣٧، و"ص"، ص: ١٦٦، ١٦٧

(٢) يريد: كالقلم المبري؛ والفعل منه: برى - يبرى.

(٣) في "ت" المضغف للقوى و: أنكاه: ما أشده [ما أجراً، مسهلة الهمزة وأصلها: ما أجراً. ثم حذف الهاء: ما أجراًه] (م).

(٤) في "ت" بحده، وأفرى، : قطع. وقد رد الشاذلي على قصيدة الأمير بأبيات هذا مطلعها:

«خليلي لا تجزع من الجوع إنه إلى كل معتل هو الغاية الكبرى»

وهي مثبتة في مصادره المعتمدة هنا.

ففرّقنا جمعاً وكدر صفونا
وجوعنا جوعاً فقّدنا له الصّبّرا
فإن شئتَ فلتبّرأ لعلك مُدركي
وإلّا فإن الجوع قد هيا القبرأ
بهذا أشار الناصحون لعلكم
ترقّون أو تأتي لنا منكم البشرى

زكاة العلم(*)

[من البسيط]

أَتَتْ مَهْنَةً فَلَیْهِنَّ مَهْدِيهَا
جَلَّتْ تَرَاكِبُهَا دَقَّتْ مَعَانِيهَا^(١)
تَدُلُّ بِالْحَسَنِ وَالْإِدْلَالَ حَقُّ لَهَا
فَمَا حَوَتْ مِثْلَهَا يَوْمًا مَغَانِيهَا^(٢)
وَدَبَّ فِي الْجَسْمِ مِنْ أَنْفَاسِهَا طَرْبُ
دَبِيبَ حَبِّي لِهَذَا الْخَيْرِ مُنْشِيهَا^(٣)
لِيَهْنِنَا بِكَ عِيدُ أَنْتَ شَاهِدُ
عِيدِ الْنَفُوسِ إِذَا نَالَتْ أَمَانِيهَا
يَا يَوْسُفُ رُدُّ لِي مِنْ قَرِيبِكُمْ نَظْرًا
كَرَدَهُ بِقَمِيصٍ أَنْتَ مَهْدِيهَا^(٤)
لِيَنْشَرْحَ صَدْرُكَ الْمَمْلُوءُ مِنْ حِكْمٍ
وَطَيِّبِ الْنَفْسِ: شَهِّيَهَا وَمَنْئِيهَا

(*) نظم الأمير قصيدة "زكاة العلم" إجابة لـ "يوسف بدر الدين المغربي"، الذي نظم قصيدة شكر فيها الأمير على شرائه دار أوقاف كان قد استوطنها "يوسف"، واغتصبها منه رومي ادعى أنه مالکها، فاشتراها الأمير، ووقفها من جديد، وسلمها للمغربي يوسف، ومطلع قصيدة يوسف:

«بك المسيرة قد نالت أمانيتها
يا نعمة مالها شيء يدانيها
إن كان عيداً لها تهنينا بموسمه
فالعيد كونك يا أقصى أمانيتها»

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٣٨، و"ت"، ص: ٦١٦، ٦١٧ و"ص"، ص: ٣١٥، ٣١٦

(٢) المغاني جمع المغنى وهو المنزل والدار. يقول: هي قصيدة لا نظير لها حسناً (م).

(٣) في "أ"، لهذا الخير.

فَأَنْتَ بَيْنَ أَخْلَاءِ لَهُمْ أَرْبٌ
تَبْقَى وَإِنْ مَاتَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا^(١)
وَلتُعْطِنَا مِنْ زَكَاةِ الْعِلْمِ وَاجِبَةً
أَنْتَ الْمَشِيدُ دَارَ الْعِلْمِ بَانِيهَا
أَبْقَاكَ رَبُّ الْعَالَا فِي نَشْرِ حِكْمَتِهَا
رَغْمًا لِأَنْفِ مَعَادِيهَا وَشَانِيهَا^(٢)

(١) أَرْبٌ : غَايَةٌ وَمَطْلَبٌ.

(٢) فِي "ت" لِنَشْرِ حِكْمَتِهِ.

أنا مخلص للود شاكر(*)

[من الكامل]

أحلى المديح مديحُ خلِّ فاخر
أقواله تنبي كدرٌ باهر^(١)
عمّا أجنّ من الودادِ جنائهُ
ألفاظهُ تنرى كشهدٍ قاطر^(٢)
تكسو الملاحه والطلاوة وجهها
فالودُّ من أرجائها كالعاطر
يا صاح ! خاتمة الأفاضل كلُّهم
من كلِّ شهم كاتبٍ أو شاعر
عندي لكم بين الضلوع مودة
محفوظة ومصونة للغابر
كن كيف شئت فأنت أنت أمينها
ما بين بادي عُرْبها والحاضر
الدرُّ إلا ما أتانا منكم
أنا مخلص للود، أولُ شاكر

(*) للشيخ أمين الجندي ، مفتي الشام، قصيدة في مدح الأمير، وصدرها:

«أمولاي يا من عدا مفرداً

بمجد له الله قدرا أهله

ويا سيد الناس في عصره

وأوفى كريم لن أمله»

فلما اطلع عليها الأمير رد عليه بمقطوعة «أنا مخلص للود شاكر» [وفي «تحفة الزائر» ٢: ٦١٨-٦١٩ أن

هذه المقطوعة رد على قصيدة الشيخ أمين الجندي التي مطلعها:

دار الأمير الشهم عبدالقادر

كهف الدخيل وملجأ للحائر [م].

(١) المقطوعة في "أ"، ص: ٣٩، و"ص"، ص: ٢٠٥، وفي "ت" أقواله تزي بدر، [ورواية تحفة الزائر أعلى وأحسن] (م).

(٢) أجن: أخفى. وتترى: متتالية.

أنفاس أحبابي تحييני

[من البسيط]

بديعة الحسن بالأضحى تهنيني
تزهُو بحسنٍ علّا من غير تزيين^(١)
تميسُ كالغصن إذ مرَّ الشمالُ بهِ
أو شاربٍ ثَمَلٍ منْ خمرٍ دارين^(٢)
تراه نشوانٍ إذ دبَّ الشمولُ بهِ
يميلُ من طربٍ ميلَ الرياحين
هيفاءُ يبدو لنا من وجهها قمرُ
من سَحَبٍ فاحمها بانت بتلوين
ترمي بالأحاظها عن قوسٍ حاجبها
تصيبني ثمّ تسبيني وتكويني^(٣)
وقد بدتْ لي طلوعَ الشمسِ مسفرةً
فطالَ تردادُ عيني بين شمسين^(٤)

(*) امتدح "مصطفى شلبي البغدادي" الأمير في عيد الأضحى لما بينهما من صداقة ومحبة، فرد الأمير على البغدادي بقصيدته "أنفاس أحبابي تحييني".

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٣٩، ٤٠ و"ت" و"ص"، ص: ٣٠٣، ٣٠٥ ومعنى البيت يشير إلى قصيدة الشاذلي المهنئة بالعيد.

(٢) في "أ" درايتي، والشمالية: الريح القادمة من الشمال، ودارين: قرية في البحرين يجلب إليها المسك من الهند وكان يباع فيها الخمر.

(٣) في "أ"، و"ت" تسبيني وتلويني. وقد شبه اللحظ بالسهم والحاجب بالقوس والنظرة اللاحقة بانطلاقة السهم عن قوسيه تصيبه فتجرحه وتكويه.

(٤) قارن بين الشمس الحقيقية وحبيبتة المشرقة، فاحترار بينهما تأملاً وإعجاباً، [في هذا البيت والبيت الثالث عشر عيب في القافية وهو اختلاف حركة ما قبل الياء أو الواو وهو: سناد الحد] (م).

ولست أدري أسكري من نوافجها
 أم تلك أنفاسُ أحبائي تحييني؟^(١)
 أحبّتي ! لكم صفو الودادِ كما
 محضتموني ودّاً ليس بالدون^(٢)
 لا زلتُم منهلّاً تحياً العطاشُ به
 ومنزلاً لعفاة الخلق في الحين^(٣)
 أحياً إلهي أحبائي وزاد لهم
 فضلاً وأنزلهم أعلى العلّيين
 واحفظ إلهي ما أوليتهم كرمًا
 وقرّ أعينهم : دنياً مع الدين
 ودافع السوء عنهم يا إلهي ! ولا
 تجعل سبيلاً عليهم للمُعادين^(٤)
 واجعل سرورهم صفواً بلا كدرٍ
 واجعل زمانهم أيام عيدين
 واسترهم برداء الحفظ يا أملي !
 بحرمة السرّ : بين الكاف والنون^(٥)
 بجاه خير الورى والتابعين له
 آمين ! آمين ! يا ذا الفضل لبيني

(١) في "أ"، من نوافجها، والنوافج أوعية تستعمل لحفظ المسك والعنبر.

(٢) في "أ" كما أمحضتموني بود.

(٣) العفاة : من الناس من يطلبون العطاء من غيرهم، في "ت" وزد لهم.

(٤) في "أ"، و"ت" وادفع السوء وهو ما لا يستقيم معه الوزن، وكسرت نون «المعادين» لتناسب القافية.

(٥) في البيت معنى الآية : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس ٨٢ .

رباط الود مشتد (*)

[من الطويل]

أَمَا وَالَّذِي تَعْنُو لَهَيْبَتِهِ الْوَرَى
وَجَلَّ اعْتِزَاؤًا أَنْ يَكُونَ لَهُ نَدُّ^(١)
لَأَنْتُمْ وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارُ بِشَخْصِكُمْ
أَوْدُ مِنْ الْقَرَبَى وَأَدْنَى إِذَا عُذُّوا
فَكَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ نَالَ مَرَادَهُ
وَكَمْ مِنْ قَرِيبِ الدَّارِ مَا نَالَهُ وَدُ
أَلَا فَلَطَبْ نَفْسًا بِطَيِّبٍ وَدَادِنَا
فَإِنَّ رِبَاطَ الْوَدِ تَالَهُ مُشْتَدُّ

(*) رد بالأبيات على ابن عمه "الطيب بن المختار" الذي مدحه بقصيدة مطلعها :

«أكل خـاـلـي لا يـدوم له عـهـد

أم أنفردت في حل ما عقدت هـند»

(١) الأبيات في "أ"، ص: ٤١، و"ص"، ص: ١٥١

يراع ينفت سحراً^(*)

[من الطويل]

أتاني كتابٌ لا يملُّ سماعُهُ
كتابٌ كوشي الروض تزهو بقاءُهُ^(١)
يزيدُ على التردادِ طيباً ولذةً
يعزُّ علينا طرحةً ووداعُهُ
يدبُّ دبیبَ الخمر في جسم سامعٍ
فيطربُّنا إسماعُهُ وسماعُهُ^(٢)
كتابٌ أتاني حافظُ الود وافيّاً
وإنَّ الوفا أضحتْ يباباً رباعُهُ^(٣)
كتابٌ أبي النصر الذي فاقَ منطقاً
وينفتُّ سحراً بابليّاً يراعُهُ^(٤)
فلا زالَ في أوجِ الكمالِ مخيماً
يضيءُ علينا نوره وشعاعُهُ
ولا زالَ من يحمي الذمارَ بعزّةٍ
ولو جمعوا ما يستطيعُ دفاعُهُ^(٥)

(*) بعث بالقصيدة إلى الشيخ "أبي النصر الطرابلسي" ردّاً على قصيدة مدحه له، وأولها :
«هيفاء قد نضجت بمسك عاطر
كيما تقبل ذيل عبّيد القادر
من آل بيت قد غدوا سفن النجاة
لن التجوا من لج بحر زاخر»

(١) القصيدة في "أ"، ص ٤١، ٤٢ و"ت" و"ص"، ص : ٢٢٧، ٢٢٩

(٢) يعني أن الموسيقى غنية، والإيقاعات مطربة.

(٣) اليباب : الخراب والقفر [والرباع جمع الربع : الدار] (م).

(٤) بابلياً : نسبة إلى مدينة بابل بالعراق.

(٥) في "أ" و"ت" حامي الذمار.

ولا زال محجوج الأفاضل كعبه
وممدوحة أفعاله وطباعة^(١)
ولا زال سياراً إلى الله داعياً
بعلم وحلم ما يضم شراعه
ولا زال للعلوياء أرفع راية
وبشراء مبذول لنا ومتاعه
فأبقاه من رقاء عين زمانه
وحامل كل الكل منا وساعة^(٢)

(١) محجوج : يحج إليه لفضله.

(٢) رقاء : هنا أعلى مكانته.

لن يبرأ^(*)

[من الكامل]

أقولُ على صدقٍ لأهل النُّهى طُراً
ولستُ بمستثنٍ لنَيْمًا ولا حُرًّا^(١)
ألا خَبِّروني ! أين ضلَّت عقولُكم
وكلُّكم يستهجنُ الشرَّ والضرَّ
ويغفلُ عنه وهو منتبهٌ له
ويطلبُ هذا الشرَّ أعظمَ به شرًّا
وحينئذٍ يقلّاهُ كلُّ صاحبٍ
ومن مسَّ هذا الضرَّ هيهاتَ أن يبرأ^(٢)

(*) الأبيات لغز بها الأمير في الشيب والكبر وكان لها صدى في عصره فعارضها بعض الشعراء آنذاك.

(١) الأبيات في "أ"، ص ٥١ و"ص"، ص: ١٦٠، ١٦١

(٢) في "أ" يقلوه، وكل مواده. ويقلاه: يجفوه، ويبغضه.

د. مناسبات

طال ليلى، يا أحبابي (*)

[من الكامل]

يا سواد العين يا روحَ الجسد
يا ربيع القلب ! يا نعم السند^(١) !
كنت لي قرة عين وبها
هام قلبي لا بمال وولد^(٢)
فرمى الدهر بعيني أسهماً
مدّ نأيتكم لا أرى فيها أحد
أبرق الطرف شيء بعدكم !
لا ورب البيت في هزل وجد
مدّ ترحلتكم أذبتكم مهجتي
ودموعي فائضات من كمد
فني الصبر ولم يفن الجوى
ما أراه فانياً حتى الأبد^(٣)
وذوى ما كان رطباً يانعاً
ووهى العظم ولم يبق الجلد^(٤)
مدّ تواريتم تواري فرحي
ما يسر القلب في أخذ ورد

(*) بعد الآثار الناجمة عن ضراوة المعارك مع العدو الفرنسي، اضطر مجاهدون من جيش الأمير إلى الفرار، فتوجه بعضهم إلى المغرب الأقصى ومنهم إخوانه : "سعيد" و"مصطفى" و"حسين" وإليهم بعث القصيدة سنة ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٦، ٧ و"ت"، ص : ٤٢٢، ٤٢٣ و"ص"، ص : ١٤٩، ١٥١، "ن"، ص : ٤٩، ٥٠.

(٢) في "ت" لاح قلبي.

(٣) في "أ"، و"ت" قد فنى صبري.

(٤) في "أ"، و"ت" وانزوى ما كان.

فحياتي بعدكم منذ غبتكم
 من مجازٍ مرسلٍ عندي يُعدُّ
 طال ليلى يا أحبَّاي! ولا
 يعلمُ الحالَ سوى الفردِ الصمد^(١)
 كم أنادي حين يبدو صبحه
 يا سعيدي؟! هل خيالٌ لي يُردُّ؟!
 فتُردُّ الروحُ للجسمِ ويَا
 مصطفى! هل من دواءٍ للكمَدِ؟!
 شاقني حبُّ حسينٍ شاقني
 ما لحكمُ الله في القلبِ مرد^(٢)
 هل يجودُ الدهرُ من بعدِ النوى
 باقترابٍ؟! يُحيي ميتًا لم يعد
 فإذا لي تمَّ ما أمُنتُهُ
 عاد إنساني وروحي للجسدِ
 يا ذوي القربى! قريباً من أبٍ
 أنتم نذري وكنزي والسنندِ
 لي كونوا مثلما كان الأولى
 سلفوا لي أهلٌ سعي لا يردُّ
 فإذا ما أقبلتُ فلتبذلوا
 وإذا ما أدبرتُ فارضوا بودِ
 وعليكم من سلامٍ صيبِ
 طيبٌ يترى إلى غيرِ أمد^(٣)
 يشملُ الأحبابَ أنى قد ثووا
 كل حبٍّ لي هو الصنُّو الأود^(٤)

(١) في "ت" يا أحبائي.

(٢) في "أ" و"ت" في الخلق مرد

(٣) صيب: ثابت، دائم، ويترى: يتوالى، يتتابع. [واستعمال «يترى» هكذا لم يصحّ (م).]

(٤) ثووا: ثبتوا واستقروا. والصنو يطلق على الأخ الشقيق.

تحصنتُ لا خوفاً من الموت (*)

[من الكامل]

اللَّهِ أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ
مَنْنِي عَلَى الْأَمَدِ الطَّوِيلِ دَلِيلًا^(١)
كَلَّا وَإِنَّ مَنِّيَّتِي لِقَرِيبَةٍ
مَنْنِي وَأَصْبَحُ فِي التَّرَابِ جَدِيلًا^(٢)
وَرَضَا إِلَهِهُ هُوَ الْمَنَى وَيَكُونُ مِنْ
بَعْدِي انْتِفَاعُ الْخَلْقِ ثُمَّ طَوِيلًا^(٣)

(*) قرر الأمير تشييد حصن تازة، فأنجز في أمد قصير، وفيه نظم الأبيات.

(١) الأبيات في "أ"، ص: ٦، و"ت" ص: ٣١٣، و"ص"، ص: ٢٨٤، وفي "ت" على الأمل.

(٢) الجديل: القتل المضرع بدمائه.

(٣) في "ت" ليكون وثم: هناك.

الباذلون نفوسهم^(*)

[من الكامل]

يا أيها الريح الجنوب! تحملي
مني تحية مغرم وتجملي^(١)
واقفر السلام أهيل ودّي وانثري
من طيب ما حملت ريح قرنفل
خلي خيام بني الكرام وخبري
أنّي أبيت بحرقه وتبلبل^(٢)
جفني قد ألقا السهاد لبينكم
فلذا غدا طيب المنام بمعزل^(٣)
كم ليلة قد بثها متحسرا
كم بيت أرمد في شقا وتململ
سهران ذو حزن تطاول ليله
فمتى أرى ليلي بوصلي ينجلي؟
ماذا يضر أحبتي لو أرسلوا
طيف المنام يزورني بتمثل؟
كلّ الذي ألقاه في جنب الهوى
سهل سوى بين الحبيب الأفضل

(*) أشاع الفرنسيون أن الأمير عبد القادر قد قتل ليفزعوا جيوشه في جبال "جرجرة" الواقعة في شمال الجزائر، ولما علم بذلك بعث بالقصيدة إلى جيوشه غير أنه بذلك الإشاعات.

(١) القصيدة في "أ"، ص ٨، ١١، و"ت"، ص: ٣٤٣، و"ص"، ص: ٢٧٤، ٢٨١.

(٢) في "أ" و"ت" حلي.

(٣) في "أ"، "ت" جفني لقد ألق السهاد.

أَدِّي الأمانةَ يا جنوبُ ! وغايَتي
في جمع شملي يا نسيمَ الشمالِ !
واهدي إلي من بالرياضِ حديقَهم
أذكى وأحلى من عبيرِ قرنفُل
تُهدي إلي طرائفاً وظرائفاً
ولطائفاً بتعطُّرٍ وتعسلُ
حاولتُ نفسي الصبرَ عنهم قيلَ لي :
مه ! ذا محالٌ ويكُ عنه تحوُّلٌ !^(١)
كيف التصبُّرُ عنهم ؟! وهم همُ
أربابُ عهدي بالعقودِ الكملِ !
أيحلُّ ريبُ الدهرِ ما عقدُوا ؟! وكُمُ
حلَّتْ عقودي بالمئى المتخيَّلِ !
تفديهمُ نفسي وتفدي أرضهمُ
أزكى المنازلِ يا لها من منزلِ !
أفدي أناساً ليس يدعى غيرهمُ
حاشا العصابةَ والطرارِ الأولِ^(٢)
يكفيهمُ شرفاً وفخراً باقياً
حملُ اللواءِ الهاشميِّ الأطولِ
قد خصهمُ واختصَّهمُ واختارهمُ
ربُّ الأنامِ لذا بغيرِ عملِ
همُ بالمديحِ أحقُّ لکن ربَّما
ضاعتْ حقوقُ بالعدا والعدلِ
إن غيرهمُ بالمالِ شحٌّ وما سخا
جادوا ببذلِ النفسِ دونَ تعلُّلِ

(١) مه : اسم فعل أمر ومعناه اكفف.

الباذلون نفوسهم ونفيسهم
 في حبِّ مالِكنا العظيم الأجل
 كم يضحك الرحمن من فعلاتهم
 يوم الكريهة ! نِعَمَ فعلُ الكُمَلِ !^(١)
 الصادقون الصابرون لدى الوغى
 الحاملون لكلِّ ما لم يُحْمَلِ
 إنَّ غيرهم نالَ اللذائذَ مسرفاً
 هم يبتغون قِرَاعَ كتبِ الجحفلِ^(٢)
 والذُّشْيءِ عندهم لحمُ العدا
 ودمائهم كزلالِ عذبِ المنهلِ^(٣)
 النازلون بكلِّ ضنكٍ ضيقٍ
 رغماً على الأعداءِ بغيرِ تهوُلِ
 لا يعرفُ الشكوى صغيرٌ منهم
 أبداً ولا البلوى إذا ما يضطلي
 ما منهم إلا شجاعٌ قارعٌ
 أو بارعٌ في كلِّ فعلٍ مُجْمَلِ
 كم نافسوا كم سارعوا كم سابقوا
 من سابقٍ لفضائلٍ وتفضِّلِ
 كم حاربوا كم ضاربوا كم غالبوا
 أقوى العداة بكثرةٍ وتموُلِ
 كم صابروا كم كابروا كم غادروا
 أعتى أعاديهم كعصفٍ مُؤَكَّلِ^(٤)

(١) كم يضحك الرحمن : أراد رضا الله سبحانه، والكريهة : الحرب الشديدة.

(٢) الجحفل : الجيش الكثير المدمج [وقوله كتب الجحفل؛ كأنه يريد الكتائب. ولم يرد جمع كتيبة على كتب، كما في هذا البيت] (م).

(٣) يريد استباحة دمائهم (قتلهم) في المعارك (م).

(٤) في "أ" و"ت"، أقوى أعاديهم [وقوله كعصف مؤكل، أراد: كعصف مأكول، ولم يستقم له القول] (م).

كم جاهدُوا كم طاردُوا وتجلَّدُوا
 للنَّائِبَاتِ بِصَارِمٍ وَبِمَقُولٍ^(١)
 كم قاتَلُوا كم طاولُوا كم ماحَلُّوا
 من جيشٍ كفرٍ باقتحامِ الجحفلِ^(٢)
 كم أدلَجُوا كم أزعَجُوا كم أسرجُوا
 بتسارعٍ للموتِ لا بتمهلٍ^(٣)
 كم شَرَّدُوا كم بَدَّدُوا وتَعَوَّدُوا
 تشتيتِ كل كتيبةٍ بالصيقلِ^(٤)
 يومُ الوغى يومُ المسرةِ عندهم
 عند الصيَّاحِ له مشيوا بتهلُّلٍ^(٥)
 فدماءُهم وسيوفُهم مسفوحةٌ
 ممسوحةٌ بثيابِ كل مجندلٍ
 لا يحزنونَ لهالكِ بل عندهم
 موتُ الشهادةِ غبطةٌ المتحوِّلِ^(٦)
 ما الموتُ بالببيضِ الرقاقِ نقيصةٌ
 والنقصُ عندهم بموتِ الهُمَّلِ^(٧)
 يا ربُّ ! إنك في الجهادِ أقمتهم
 فبكلِّ خيرٍ عنهم فتفضلِ

(١) الصارم : السيف. المقول : اللسان.

(٢) في "أ" و"ت" كفر شبه موج يعتلى. وبعد البيت هذا آخر في "أ" و"ت" وهو مفقود في نسخة "حقي"، والبيت هو :

«كم ثبتوا، كم بتتوا، كم شتتوا شمل الكوافر باقتحام الجحفل»

(٣) أدلَجُوا : ساروا ليلاً.

(٤) الصيقل: الذي يسنُّ السيوف ويجلوها. والشاعر أراد «الصقيل»: السيف، ولم ينضببط له فقدَّم في الكلمة وأخر! (م).

(٥) في "ت" عند الصباح.

(٦) في "أ" غبطة المثلول، وفي "ت" غبطة المثلول.

يَا رَبُّ ! يَا رَبَّ الْبَرَايَا ! زِدْهُمْ
 صَبْرًا وَنَصْرًا دَائِمًا بِتَكْمُلِ
 وَاَفْتَحْ لَهُمْ مَوْلَايَ ! فَتَحًا بَيِّنًا
 (١) وَاغْفِرْ وَسَامِخْ يَا إِلَهِي ! عَجَلْ
 يَا رَبُّ ! يَا مَوْلَايَ وَابْقَهُمْ قَدْىَ
 فِي عَيْنٍ مِنْ هُوَ كَافِرٌ بِالْمُرْسَلِ (٢)
 وَتَجَاوَزَنَّ مَوْلَايَ ! عَنْ هَفَوَاتِهِمْ
 وَالْطُفْ بِهُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْزِلِ
 يَا رَبُّ ! وَاشْمَلْهُمْ بِعَفْوٍ دَائِمٍ
 كُن رَاضِيًا عَنْهُمْ رِضًا الْمُتَفَضِّلِ
 يَا رَبُّ ! لَا تَتْرُكْ وَضِيعًا فِيهِمْ
 يَا رَبُّ ! وَاشْمَلْهُمْ بِخَيْرِ تَشْمُلِ
 مَتَّوَسِّلًا مَوْلَايَ ! فِي ذَا كَلِّهِ
 مَتَشَفِّعًا بِشَفِيعِ كُلِّ مَكْمُلِ
 وَجَهَتْ وَجْهِي فِي الْأُمُورِ جَمِيعِهَا
 لِمُحَمَّدٍ غِيْثِ النَّدَى الْمُسْتَرْسَلِ (٣)
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا سَحَّ الْحَيَا
 وَالْأَلِ مَا سَيْفُ سَطَا فِي الْجَحْفَلِ (٤)

- (١) وَاَفْتَحْ... فَتَحًا بَيِّنًا : مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ الْفَتْحُ ١ .
- (٢) الْقَدْىَ : مَا تَلْقَى بِهِ الْعَيْنُ مِنَ الْأَوْسَاحِ . [وَقَوْلُ الشَّاعِرِ «وَابْقَهُمْ» فِيهِ ضَرُورَةٌ لِأَنَّهُ حَذَفَ هَمْزَةَ الْقَطْعِ] (م) .
- (٣) وَجَهَتْ وَجْهِي : مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الْإِنْعَامُ ٧٩ .
- (٤) الْحَيَا: الْمَطَرُ. وَ: سَحَّ: سَالَ وَانْهَمَرَ؛ وَ: سَطَا: صَالَ وَوَثَبَ وَغَلَبَ (م) .

عذاب الأسر(*)

[من الكامل]

ماذا على سادتنا أهلِ الوفا
لو أرسلوا طيفَ الزيارة في خفا^(١)
يترصد الرقباء حتى يغفلوا
ويكون مانعٌ وصلنا ليلاً غفا
فإذا تمكنت الزيارة خفية
يأتي مواعدٌ وصلنا متلطفاً
ويكون قبل حلوله أفرشتُهُ
خدِّي وطاءً للنعال وللحفا
ويكون بيتُ نزوله قلبي الذي
- وحياتهم - من حبٍّ غيرهم عفا
ضيفاً له نُزلٌ لذي كرامة
كبدٌ شواها البعد في جمر الجفا
يا سعد! إن كنت البشير بوصله
فلقد أتيت على المسرة والوفا
لو أن نفسي لي إليك بذلتها
وأراه بذل مقصّرٍ ما أنصفا^(٢)
وتكون يا سعدُ المساعِدَ للذي
- من هجر من يهواه - صار على شفا
لم يُبق يومُ البين والهجر - الذي
خُلِقا لتعذيب الأُحبة مُسْعِفاً

(*) في أسره كان الأمير كثيراً ما يلتجئ إلى التوسل للتخفيف عن نفسه والقصيدة تذهب هذا المذهب.

(١) القصيدة في "أ" ص: ١٣ - ١٤، و"ت" ص: ٥٥٤، ٥٥٦، و"ص" ص: ٢٣٧، ٢٤٢، و"ن" ص: ٥١، ٥٣،

وساداتنا أراد بهم علماء الصوفية.

(٢) في "أ" وأراها.

إِلَّا صُبابَتُهُ وَجَسَماً قَدْ غَدَا
 مَلَقَى كَشَنًّ بِالْفَلَا لَنْ يُخْصَفَا^(١)
 زَفَرَاتُ قَلْبِي جَمْرُ نَارٍ أُجِّجَتْ
 مِنْهُ دَمُوعُ الْعَيْنِ فَاضَتْ ذُرْفَا
 بِمَحَاجِرٍ مِنْ حَاجِرٍ أَقْذَاءُ قَدْ
 طَرَدْتُ ضَيُوفَ الطَّيْفِ جَاءَتْ طُوفَا^(٢)
 هَلْ مِنْ مَنَامٍ لِلدَّيْغِ بِمَرَّةٍ
 فَضْلاً عَنِ الْمَرَاتِ أَوْ هَلْ مِنْ غَفَا!^(٣)
 مَا إِنْ تَأَلَّقَ بَرْقُ سَلْعٍ وَالْحَمَى
 حَتَّى تَفِيضَ النَّفْسُ مِنْهُ تَأْسُفَا^(٤)
 وَأَرَاهُ سَيْفَا صَارَماً وَسَطَ الْحَشَا
 فَعَلَ الْأَفْعَايِ، أَوْ شَهَابَا مَا انْطَفَا
 يَحْكِي زَفِيرِي رَعْدَهُ وَرِيَا حُهُ
 وَبُوبِلُهُ حَاكَى دَمُوعِي الْوَكْفَا^(٥)
 وَإِذَا جَرَى ذِكْرُ الْعَقِيقِ وَأَهْلِهِ
 أَجْرَى الْعَقِيقِ تَأْسُفَا وَتَلْهُفَا^(٦)
 يَا أَهْلَ طَيِّبَةَ! مَا لَكُمْ لَمْ تَرْحَمُوا
 صَبَاً غَدَاً لِنَوَالِكُمْ مُتَكَفِّفَا!^(٧)

(١) الشن: القرية الصغيرة. والصبابة: البقية، والخصف: إصلاح الحال بعد الفساد، أو ترقيع ما أصيب بثقوب.

(٢) المحاجر جمع المحجر وهو من العين: ما دار بها، وبدا من البرقع، أو ما يظهر من النقاب. وحاجر موضع في ديار بني تميم ذكره الشعراء كثيراً، قال الأعشى:

شأقتك من (قتلة) أطلالها بالشط فالوتر إلى حاجر (م)

(٣) في "ت" مهما تالقوا فيها، وفي "أ" كادت تفيض. وسلع: موضع في الحجاز ولعله أراد به المسجد النبوي الشريف.

(٤) الوبل: المطر الغزير.

(٥) العقيق الأولى موضع عند المدينة ذكره الشعراء كثيراً (مع أعقة أخرى أيضاً) والعقيق الثانية: الحجر الأحمر المعروف وجاء به مجازاً ليقول: إنه يبكي بدموع كالعقيق أو يبكي دماً (م)..

(٦) طيبة: من أسماء المدينة المنورة. والمتكفف: الناشد المستعطي.

لا تجمَعُوا بين الصُّدُودِ وبُعْدِكُمْ
حسبي الصُّدُودِ عقوبةٌ فلقد كفى
لم أدْرِ شيئاً قبلَ معرفةِ الهوى
حُبِّي لكم ما كانَ قطُّ تكُلُّفاً
ما بالهم يا صاحٍ لم يتذكَّروا
صبّاً كئيباً في المحبَّةِ مدنفاً^(١)؛
ما قيل : ذاك أسيرُنا وقتيلُنا
بين العوادي والأعادي مثقفاً^(٢)
قلبي الأسيرُ لديكم والجسمُ في
أسرِ العداةِ معذباً ومكتُفاً
حاشاكم لجميلِ ظني فيكم
أن تُشْمِتُوا في العدوِّ المرجفاً
ولطالما لام العذولُ بحبكم
وأطال عتبي ناصحاً ومعنفاً
ولكم سعى كيماً يصرِّفَ وجهتي
عن وجهٍ ودمكُم ولم يكُ مـصرِّفاً
ويودُّ لو أني سلَّوتُ هواكم
فيكونُ لي خلاً وفيّاً منصِفاً
قلبُ الشجيِّ كما علمتم إنه
لا ينثني عن حبكم متخوفاً

(١) مدنف : متهالك في حبه.

(٢) العوادي : المصيبة. مثقف : طريح من جرح، أو مثخن بجراحه.

يَبْغِي الْوَصَالَ وَلَوْ تَمَزَّقَ تَالِفًا
وَيَلْذُّ أَنْ يَلْقَى الْعَذَابَ وَيَتْلَفَا^(١)
يَسْرِي وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ عَدَاتُهُ
وَيَسِيرُ لَوْ كَانَ النَّهَارُ الْمَرْهَفَا^(٢)

(١) في "ت" ويلذ بالتعذيب إن يك متلفا.

(٢) المرهف : السيف، الحاد القاطع.

يا سيدي! يا رسول الله!!

[من البسيط]

يا سيدي! يا رسول الله! يا سندي!
ويا رجائي! ويا حصني! ويا مددي!^(١)
ويا ذخيرة فقري! يا عيادي! يا
غوئي! ويا عدتي للخطب والنكد!^(٢)
يا كهف ذلي! ويا حامي الذمار! ويا
شفيعنا في غد! أرجوك يا سندي!^(٣)
لا علم عندي أرجئيه ولا عمل
أمام نجواي من هدي ومن رشد
أبغي رضاك ولا شيء أقدمه
سوى افتقاري وذلي واصفرار يدي!^(٤)
إن أنت راض فيا فخري ويا شرفي!
ماذا علي إذا واليت من أحد؟^(٥)

(١) المقطوعة في "أ"، ص: ١٤، ١٥، و"ص"، ص: ١٤٢، ١٤٣

(٢) يا عيادي، العوذ: الالتجاء، والاحتماء، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الفلق: ١

(٣) الذمار: كل ما يلزمك حمايته وحفظه. ويقال: "هو حامي الذمار" إذا حمى ما لو لم يحمه ليم وعُتِف.

(٤) اصفرار اليد: أراد ضعفه، وعدم امتلاكه القوة. [يقال: فلان صغر اليدين. واستعماله المصدر (اصفرار)

هنا غير مناسب] (م).

(٥) في "أ" عن كنت راض [ومجيئه بـ «إن» الشرطية في الجملة غير مناسب] (م)..
- ١٠٧ -

أعزني قلباً (*)

[من الطويل]

أَلَا! إِنَّ قَلْبِي يَوْمَ بَنْتُمْ وَسَرْتُمْ
غدا حائماً خلفَ الظُّعُونِ يطِيرُ^(١)
يَقَاسِي مَرَارَ الْمَوْتِ مِنْ أَلَمِ الْجَوَى
فَمَا لِي إِلَّا أَنْتُةُ وَزَفِيرُ
رَحَلْتُمْ وَسَرْتُمْ لَوْ رَحِمْتُمْ! فَبَيْنُكُمْ
لِحَظِّي يَوْمَ لِلْبَلَاءِ عَسِيرُ^(٢)
وَكُنْتُ لِيَوْمِ الْبَيْنِ أَعَدْتُ عِدَّةً
وَفِي الظَّنِّ مَا أَعَدَّتْهُ لَكَبِيرُ!
فَخَانَ الَّذِي أَعَدَّتْهُ لِفِرَاقِكُمْ
وَوَلَّتْ جِيوشُ الصَّبْرِ وَهِيَ غُرُورُ
فَلَوْ أَنْتُمْ يَوْمَ الْفِرَاقِ أَعَرْتُمْ
قُلُوبَكُمْ لِي إِنَّنِي لَصَبُورُ!

(*) قال الأبيات في الأسر بفرنسا عندما التجأ إخوته إلى المغرب وتركوه وحيداً.

(١) الأبيات في "أ"، ص: ٢٥، و"ت"، ص: ٥٥٧، ٥٥٨، و"ص"، ص: ٢١٠، ٢١١ وفي "ت" يسير، و: الظعون بفتح الظاء: الراحلة أو البعير يُحْمَلُ عليه (م).

(٢) في "ت" البيت:

"رَحَلْتُمْ، وَلَوْ تَدْرُوا رَحِمْتُمْ، فَبَيْنَكُمْ
لِحَظِّي يَوْمَ لِلْبَلَاءِ عَسِيرُ"

آمن من حمام مكة(*)

[من البسيط]

الحمدُ لله تعظيماً وإجلالاً
ما أقبل اليسرُ بعد العسرِ إقبالاً^(١)
وما أتتْ نفحاتُ المسكِ ناسخةً
من المكارهِ أنواعاً وأشكالاً^(٢)
وأشكرُ الله إذا لم ينصرمْ أجلي
حتى وصلتُ بأهلِ الدين إيصالاً^(٣)
وامتدَّ عمري إلى أن نلتُ من سندي
خليفةَ الله أفياءً وأظلالاً^(٤)
فאלله أكرمَني حقاً وأسعدني
وحطَّ عني أوزاراً وأثقالاً
قد طال ما طمحتُ نفسي وما ظفرتُ
لكنَّ للوصلِ أوقاتاً وأجالاً
أسكنَ فؤادي وقرَّ الآن في جسدي
فقد وصلتُ بحزبِ الله أحبالاً^(٥)
هذا المرامُ الذي قد كنتَ تأمله
فطبَّ مآلاً بلقياء وطبَّ حالاً

(*) قال الأبيات في حضرة السلطان "عبد المجيد" عندما خرج من السجن واختار تركيا للمقام في أول الأمر.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٢٥، ٢٧. و"ت"، ص: ٥٧٦، ٥٧٨، و"ص"، ص: ٢٥١، ٢٥٦، و"ن"، ص: ٣٧، ٤٠ في البيت معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ الشرح: ٥٥.

(٢) في "ت" نفحات الخير.

(٣) حق الكلام أن يكون: «حتى وصلت.. وصلاً» ولكنه عدل - للضرورة - إلى مصدر آخر هو إيصال وفعله أوصل (م).

(٤) أظلال أحد جموع كلمة ظل (م).

(٥) أحبال أحد جموع «حبل» (م).

وعش هنيئاً فانتَ اليومَ آمنُ منْ
حمام مكةَ إحراماً وإحلالاً^(١)
فانتَ تحتَ لواءِ المجدِ مغتَبطُ
في حضرةِ جمعتَ قطباً وأبدالاً^(٢)
وتَهْ دلالاً وهزُّ العطفِ من طربِ
وغنٍّ وارقصْ وجُرَّ الذيلَ مختالاً^(٣)
أمنتَ من كل مكرٍ ومظلمةٍ
فبُحْ بما شئتَ تفصيلاً وإجمالاً
هذا مقامُ التهاني قد حلتَ بهِ
فارتعْ ولا تخشَ بعدَ اليومَ أنْكالاً^(٤)
أبشرْ بقربِ أميرِ المؤمنينَ ومنْ
قد أكملَ اللهَ فيه الدينَ إكمالاً
عبدُ المجيدِ حوى مجداً وعزاً علأ
وجلَّ قدرأ كما قد عمَّ أنوالاً
كهفُ الخلافةِ كافيها وكافلها
وما عهدنا له في القرنِ أمثالاً^(٥)
يا ربَّ !! فاشددْ على الأعداءِ وطأتهُ
واحمِ حمَاه وزدهُ منك إجلالاً
وأظهرنْ حزنه في كل مُتَّجهٍ
وسدِّدْ منه أقوالاً وأفعالاً

(١) إحراماً وإحلالاً : أراد الأشهر الحرم، والأشهر الحل.

(٢) القطب ويسمى الغوث، والأبدال: هم عند القوم سبعة، كما في التوقيف على مهمات التعاريف (٢٩) لا

يزيدون ولا ينقصون.. إلخ، والكلام متعلق بمصطلحات الصوفية (م).

(٣) العطف : جانب الجسم، أو الخصر.

(٤) أنكال جمع نكل وهو القيد الشديد (م).

(٥) في "أ"، و"ت" من لا عهدنا له.

وابسطْ يديه على الغبراءِ قاطبةً
 وذُلِّلْنِ كل من في الأرضِ إذلالاً!!^(١)
 فالمسلمونَ بأرضِ الغربِ شاخصةً
 أبصارُهُم نحوه يرجون إقبالا
 كم ساهرٍ يرتجي نوماً بطلعتهِ
 وحائرٍ يرتجي للحزنِ تسهلاً
 فرعُ الخلائفِ وابنُ الأكرمينَ ومنْ
 شدوا عرى الدين أركائاً وأطلالاً^(٢)
 كم أزيمةٍ فرجوا! كم غمةٍ كشفوا!
 كم فككوا عن رقابِ الخلقِ أغلالاً
 هم رحمة لبني الإيمانِ قاطبةً
 هم الوقايةُ أسواءً وأهوالاً
 أنصارُ دين النبي من بعد غيبتهِ
 في نصره بذلوا نفساً وأموالاً
 قد خصَّهم ربُّهم في خيرٍ منقبةً
 ما خصَّ صحباً بها قبلاً ولا آلاً
 كم حاول الصحبُ والألُّ الكرامُ لها
 والله يختصُّ من قد شاء أفضالاً
 ما زال في كل عصرٍ منهم خلفاً
 يحمي الشريعةَ قوَّالاً وفعلالاً^(٣)
 حتى أتى دهرُنا في خيرٍ منتخبٍ
 من آل عثمانٍ أملاكاً وأقيالاً^(٤)

(١) الغبراء : الأرض كلها.

(٢) في "أ" و"ت" وشادوا عرى.

(٣) في "أ" و"ت" مقوالاً ومفعلاً.

(٤) أملاكاً : جمع ملك، والأقيال : جمع قَيْلٍ لقب كان يطلق على ملوك اليمن من حمير.

قد كنت مضمراً خفضٍ ثم أكسبني
رفعاً وقد عمّني جوداً وأفضالاً^(١)
وبالإضافة بعد القطع عرفني
وحطّ عنيّ تصغيراً وإعلالاً
هــذا وحقّ علاه كم أزاح وكم
أزال عنيّ بمحض الفضل أثقالاً
لا زال تخدمه نفسي وأمدحه
مستغرق الدهر أبكاراً وأصالاً^(٢)
أهدي مديحي وحمدي - ما حييت - له
أفادني أنعماً - جلّت - وإقبالا
جزاه عنيّ إله العرش أفضل ما
جزى به محسناً - يوماً - ومفضلاً

(١) في هذا البيت والذي يليه استفادة من مصطلحات النحو والصرف على سبيل التورية (م).
(٢) في البيت صلة بقوله سبحانه : ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾، الأحزاب : ٤٢، [وقوله: أبكاراً هي جمع بُكْرَة، ويقال بُكْر أيضاً] (م).

توسلات ودعاء(*)

[من البسيط]

يا ربُّ يا ربُّ ! يا ربَّ الأَنام ! ومَنْ
إليه مَفْزَعُنَا سِرًّا وإِعْلَانًا^(١)
يا ذا الجلال ! وذا الإكرام ! مالِكُنَا
يا حيُّ ! يا مُولياً فضلاً ! وإِحسانًا^(٢)
يا ربُّ ! أَيْدُ بروح القدس ملجأنا
عبدَ المجيد ولا تبقِيه حيرانًا^(٣)
ابنُ الخلائف وابنُ الأكرمين ومَنْ
توارثوا الملكَ سلطاناً فسلطاناً
أحياناً الجهادَ لنا من بعد ما دَرَسَتْ
وضاعفَ المالَ أنواعاً وألوانًا^(٤)
فانصره نصراً عزيزاً لا نظيرَ له
حتى يزيِدَ العدا : همّاً وأحزانًا^(٥)
واحفظْ علاه وأرسلْ يا كريمُ له
من الملائك حَفَظاً وأعواناً
وانصر به الشرعَ وارفعْ يا رؤوفُ به
عن دينك الحقَّ لا تعدمه برهاناً

(*) قال القصيدة في الدعاء والتوسل من أجل نصرة الدولة العثمانية في معركتها مع روسيا في جزيرة القرم عام ١٨٥٣

(١) القصيدة في آ، ص: ٢٧، ٢٩ وت، ص: ٥٨١، ٥٨٣، و ص، ص: ٢٩٣، ٢٩٨ وآ يا رب الثالثة غير موجودة.

(٢) يا ذا الجلال، ويا ذا الإكرام : من قول الله عز وجل : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ الرحمن : ٧٨ .

(٣) بروح القدس : وظف الحديث الشريف الذي دعا فيه ﷺ بقوله : « اللهم أيد بروح القدس » [والصواب: ولا تبقه].

(٤) درست : بليت، امحت، والمعنى بعدما درست معالم الجهاد.

واجمع إلهي قلوبَ المسلمين على
 وداده، أعظم له شأنًا^(١)
 به الصواب أصب واجعل له فرجًا
 بطانة الخير : أقطابًا وأركانًا
 واهدم وزلزل وفرّق جمعَ شائنيه
 واجعل فؤادهم بالرعب ملآنًا
 وانصر وأيّد وثبت جيشَ نصرته
 أنصار دينك حقاً آل عثمانًا
 الباذلون بيوم الحرب أنفسهم
 لله كم بذلوا نفساً وأبدانًا
 والضاربون بببيض الهند مرهفةً
 تخالها في ظلام الحرب نيرانًا
 والطاعنون بسمر الخط عاليةً
 إذا العدو رآها شرّعت بانًا^(٢)
 والمصطلون بنار الحرب شاعلةً
 مطلوبهم منك ياذا الفضل رضوانًا
 والراكبون عتاق الخيل ضامرةً
 تخالها في مجال الحرب عُقبانًا^(٣)
 جيشٌ إذا صاح صيَّاحُ الحروب لهم
 طاروا إلى الموتِ فرسانًا ورُجلانًا^(٤)

(١) في "ت" وأعله أعظم.

(٢) سمر الخط : الرماح المصنوعة بقرية تدعى الخط بالخليج العربي [وبأن هنا بمعنى بُعد، يريد يهرب العدو ويتعد حين يرى الخليفة العثماني وأسلحته الفاتكة] (م).

(٣) البيت على صلة ببيت أبي البقاء الرندي :

«يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبان»

(٤) بعض المعنى مستمد من قول قريظ بن أنيف :

«قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدان»

[رجلان بضم الجيم جمع] (م).

هُمُ الْجِبَالُ ثَبَاتًا يَوْمَ حَرْبِهِمْ
 فَصَابِرٌ مِنْ عِدَاهُمْ صَبْرُهُ خَانًا^(١)
 هُمُ اللَّيْثُ لِيَوْتُ الْغَابِ غَاضِبَةً
 وَاللَّيْثُ لَا يُلْتَقَى إِنْ كَانَ غَضْبَانًا
 هُمُ الْأُولَى دَابُّهُمْ شَقُّ الصَّفُوفِ لَدَى
 حَمَلَاتِهِمْ، صَارَ جَيْشُ الْكُفْرِ دَهْشَانًا^(٢)
 الدَّافِعُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ كُلِّ أَذَى
 بِأَنْفُسٍ قَدْ غَلَتْ قَدْرًا وَأَثْمَانًا
 كَمْ غَمَّةٍ كَشَفُوا! كَمْ كَرْبَةٍ رَفَعُوا!^(٣)
 وَكَمْ أَزَاحُوا عَنِ الْإِسْلَامِ عُدْوَانًا!
 يَا رَبُّ زِدْهُمْ بِتَأْيِيدٍ إِذَا زَحَفُوا
 وَاقْطَعْ بِسَيْفِهِمْ ظُلْمًا وَكُفْرَانًا
 أَلْقِ السَّكِينَةَ رَبِّي فِي قُلُوبِهِمْ
 وَزِدْهُمْ يَا إِلَهَ الْعَرْشِ إِيْمَانًا
 وَجَهَّتْ وَجْهِي أَنْ لَنِي مَا دَعَوْتُ بِهِ
 بِأَهْلِ بَدْرِ حِمَاةِ الدِّينِ أَرْكَائًا^(٤)
 مَنْ إِلَهُ لَهُمْ قَالَ افْعَلُوا وَذَرُوا
 مَا شِئْتُمْ لَكُمْ أَوْجِبَتْ غُفْرَانًا
 أَعْنِي : الْأَلَى صَرَحَ الْحَقُّ آظَ ذَكَرَهُمْ
 بِإِسْمِهِمْ تَارِكًا مَنْ خَلْفَهُمْ بَانًا^(٥)

(١) فِي "ت" هُمُ الرِّجَالُ.

(٢) دَهْشَانُ مَصْدَرٌ «دَهَشَ» أَيَّ شُدِّهِ وَتَحْيَرٍ، وَمِثْلُهَا دَهَشَ (م).

(٣) وَجَهَّتْ وَجْهِي : مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَجَهَّتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الْإِنْعَامُ ٧٩ .

(٤) فِي "أ" أَعْنِي الَّذِي . [وَقَطَعَ هَمْزَةُ الْوَصْلِ فِي «بِاسْمِهِمْ» ضَرُورَةً لِلْوِزْنِ] (م).

بقطبهم أحمد المختار من مضر
 وسيّد الخلق أملاكاً وإنساناً
 كذا خليفته الصديق ملجؤنا
 وأعظم الناس إيماناً وإيقاناً
 وبالمكنى أبي حفص الذي افتتحت
 به المغالق حتى صعبها دأنا^(١)
 وبالخليفة ذي النورين ثالثهم
 أعني بذلك : عثمان بن عفاناً
 وبالإمام أخي المختار ذاك عليّ
 من في الوعى بالعدا تُلَفِيهِ فرحاناً^(٢)
 وبابن عثمان عبد الله سيّدنا
 وابن البكير إياس ساد إعلناً^(٣)
 وحاطب وبلال ثم حمزة ذا
 عم النبيّ كريم ساد قحطاناً^(٤)
 بسعدهم وأبي طلحة وسهلهم
 كذا سعيد ظهير ساد عدناناً^(٥)
 بصنوه وعبيد الله ثم أبي
 حذيفة وحبيب زاد رضواناً^(٦)
 بابن الربيع إلهي وابن رافعهم
 رفاعة ثم زيد سيّداً كاناً^(٧)

(١) في "ت" انفتحت. وأبو حفص : كنية عمر بن الخطاب.

(٢) في "ت" تلقاه فرحانا.

(٣) هو عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وإياس بن أبي البكير شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها (م).

(٤) حاطب بن أبي بلتعة (م).

(٥) سعد بن أبي وقاص، وأبو طلحة زوج أم سليم اللذين دعا لهما النبي وبارك لهما، وسهل بن حنيف أخاه النبي ﷺ مع علي رضي الله عنه، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (م). والشرط الأول غير مستقيم الوزن.

(٦) أقترح أن تقرأ: بصنوه ابن عبيد الله، وهو طلحة بن عبيد الله. (ومعلوم أن نسخ ديوان الأمير عبد القادر المطبوعة كلها لم تحقّق على المخطوطات) وأبو حذيفة العبشمي، وحبيب بن بديل بن ورقاء (م).

(٧) سعد بن الربيع الأنصاري، ورفاعة بن رافع بن العجلان الأنصاري، وزيد بن ثابت الأنصاري.

وبالزبير؛ أبي زيد كذاك أبو
لبابة الخير من قد عزّ إخواناً^(١)
وبابن عوف وعمر بن العاص؛ عقبه وكذا
عبدة من لدين الله قد صائاً^(٢)
وعامر وخنيس ثم عاصمهم
ثم ابن صامتهم من زاد إزعاناً^(٣)
عويمر ثم عتب بن وحق لهم
سيادة ومعاذ طاب أرداناً^(٤)
ومعوز وأخيه ثم مسطحهم
كذاك مالكهم مقدام ماشائاً^(٥)
قدامة وهلال لانظير لهم
مرارة وأبي: فضلهم بئاً^(٦)
إني توسلت يارب الأنعام! بهم
أرجوك فضلاً وغفراناً وإحساناً^(٧)
ثم الصلاة على المختار سيدنا
ماصارت الشيب يوم الحرب شُبَّاناً

- (١) في ت: عزّ أخذانا [الزبير بن العوام، وأبو زيد الأنصاري، وأبولبابة مولى رسول الله ﷺ]
- (٢) عبد الرحمن بن عوف، وعمر بن العاص، وعقبه بن عامر، وعبدة بن الحارث (م).
- (٣) في "أ" من زان إزعاناً. [عامر بن ساعدة، وخنيس بن أبي السائب، وعاصم بن قيس حمي الدبر أو عاصم بن عدي، وعبدة ابن الصامت] (م).
- (٤) عويمر أبو الدرداء، وعتبان بن مالك بن العجلان، ومعاذ بن جبل (م).
- (٥) معوز بن الحارث، وأخوه عوف، ومسطح بن أثانة، ومالك بن النيهان أول أنصاري دخل في الإسلام (م).
- (٦) قدامة بن مظعون، وهلال بن أمية الأنصاري كانت معه راية بني واقف يوم الفتح، ومرارة بن الربيع الأنصاري، وأبي بن كعب الأنصاري وأبي بن ثابت الأنصاري (م)
- (٧) في "ت" أرجوك فضلاً وإحساناً وغفراناً.

نعم الأكرمين (*)

[من المتقارب]

ولم أرَ أعظمَ من نعمةٍ
مُنحتْ ولم تكُ لي في حسابٍ^(١)
سأشكرها شكرَ وقتِ السرورِ
وأذكُرها ذكرَ وقتِ الشَّبابِ
أيا سابقاً بالذي لم يجلُ
بفكري ثواباً ونعمَ الثوابِ
كذا فلتكنْ نعمُ الأكرمينْ
تفاجي بلا منَّةٍ أو طلابِ

(*) قال الأبيات بعد تلقيه وساماً من السلطان عبد المجيد.

(١) الأبيات في "أ"، ص: ٢٩ و"ت"، ص: ٦٣٩، ٦٤٠، و"ص"، ص: ١١٣، ١١٤ [والقافية في هذه الأبيات مقيدة] (م)

بمن أعتاض عنك (*)

[من الوافر]

أَلَا فَاقْرِ الخليلَ خليلَ باشَا
سلاماً طيباً عبقاً نفيساً^(١)
له قُلْ : يا شقيقَ الروحِ عني
علامَ هجرتَ بلدتنا : بُروسَا؟^(٢)
لقد كانتَ تفاخرُ كلَّ مصرٍ
وتُطلعُ من شمائلكم شموساً^(٣)
فعدتْ بعدكم شمْطاً عجوزاً
وكانتَ تجتلي بكم عروساً^(٤)
وعهدي سُوحها بالوفدِ مَلأى
فأضحتْ بعدكم خلواً دروساً^(٥)
وكنْتَ لنا بها غيثاً مريعاً
وكهفاً مانعاً ضراً وبوساً^(٦)
وكان لنا الزمانُ بكم ضحوكاً
فصارَ لنا بفقدكم عبوساً
بمن أعتاضُ عنك ؟! فدتك نفسي !
وكنْتَ بقرِبتكم فرحاً أنيساً!

(*) حَوْلَ والي بروسة "خليل باشا" عنها، وكان صديق الأمير فقال القصيدة في ذلك.

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٣٠ و"ت"، ص : ٥٩٢، و"ص"، ص : ٢٢٢، ٢٢٣

(٢) في "أ"، و"ت" مني علام.

(٣) في "ت" كم كانت.

(٤) الشمطاء : المرأة المسنة الذميمة.

(٥) سوحها : واحدتها ساحة : وهي الميدان الفسيح. درست : امحت وبليت.

(٦) في "ت" غيثا هتونا.

غلاء الدار بالجار(*)

[من الطويل]

أبى القلبُ أن ينسى المعاهدَ من بُرسَا
وحبِّي لها بين الجوانح قد أرسى^(١)
أكلفه سلوانها وهو مغرمٌ
فهيئات أن نسلو وهيئات أن ينسى^(٢)
تباعدت عنها ويح قلبي بُعدها
وخلفتها والقلبُ خلفي بها أمسى
بلادُ لها فضلٌ على كلِّ بلدةٍ
سوى من يشدُّ الزائرون لها الحلسا^(٣)
فما جازها فضلٌ ولا حلَّ دونها
سواها نجومٌ وهي أحسبها شمسًا
عليَّ محالٌ بلدةٌ غيرها أرى
بها الدينَ والدنيا طهوراً ولا نجسًا
وجامعها المشهورُ لم يكُ مثلهُ
به العلمُ مغروسٌ به كم ترى درُسا!

(*) بعث بالقصيدة إلى صديق له "ببروسة" بعدما غادرها ليستقر في دمشق بسبب الزلازل التي كانت تضرب ببروسة بين حين وآخر.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٣٣، ٣٤ و"ت"، ص: ٥٩٢، و"ص"، ص: ٢١٨، ٢٢٢

(٢) في "أ" أن يسلاوا.

(٣) يريد البلدان التي عناها الرسول ﷺ في حديثه: «لا تشدُّ الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» [رواه أبوداود وأحمد والنسائي وابن ماجه. والحلس كساء رقيق على ظهر الدابة تحت البردعة،] (م).

وسلطانُها أعني الأميرَ رئيسَها
 به افتخرتُ "برُسا" فأعظمُ به رأساً
 ومنزلهُ الأعلى حكي لي روضةً
 به الفخرُ قد أمسى، به الفضلُ قد أرسى
 بهَا آلُ عثمانَ الجهابذةُ الألى
 أشادُوا منارَ الدينِ وابتذلُوا النفسَا^(١)
 ليبكِهمُ للدينِ من كان باكيًا
 فما شامَ هذا الدينُ في عصرهمُ نحسًا!^(٢)
 فكم عالمٌ فيهمُ! وكم من مُجاهدٍ!
 وكم من وليٍّ قد تخيرها رمسًا^(٣)
 ألا! ليت شعري هل أحلُّ رياضَها؟
 و"بنارِ باشٍ" هل أطيبُ به نفسًا!^(٤)
 فيصبُو بها في العيدِ من ليس صابيًا
 ويفرحُ محزونُ الفؤادِ ولا يأسى
 وكيف "جَكَرَكة" بعدنا وقصورُها!^(٥)
 تراها الثريًّا إذ توسَّطتِ القوسَا^(٦)
 ومن تحتِها نهرٌ جرى متدفِّقًا
 يشابهه ثعبانًا وقد خشيَ الحسَا^(٦)
 فهبْنِي أسلو أرضَها بتكَلُّفٍ
 فلستُ بسالٍ للأهالي ولا أنسى

(١) الجهابذة : الفصحاء المتميزون.

(٢) في "أ" ألا بيكهم. و : فما شان. شام : شهد، وأحس.

(٣) تخيرها رمسًا: يريد اختارها دار إقامة دائمة حتى كانت وفاته فيها. والرُّمس: القبر (م).

(٤) في الديوان: [حقي ١٧٣، وصيام ٢٢٠] «نارباش» مكان في بروسًا (م)..

(٥) جكركة : من أحياء بروسة الجميلة.

(٦) خشي الحسَا : يريد سرعة النهر لإحساسه بالخطر كالثعبان.

ومن أجلهم حبي لها وتشوقي
وإن غلاء الدار بالجار قد أمسى
أناس بهم أهلي سلوت وبلدتي
وفي كل أن قد رأى ناظري أنسا
وفارقت أهلي مذ تجمع شملنا
وأمّنت لا غمّا أخاف ولا نكسا^(١)
مكارم أخلاق وحسن شمائل
ولين طباع والطفافة لا تُنسى
سقى الله غيثاً رحمةً وكرامةً
أراض بها حلّ الأحبة من برسا^(٢)

(٧) في "أ" وأمّنت.

(١) أراض : حقّها النصب، وقد اضطر الشاعر إلى حذف الياء لاقتضاء الوزن ذلك.

كريم من كريم(*)

[من الوافر]

فَذَا دِيوان سَيِّدنا الكَريمِ
سَليلِ المِصْطَفى عَبدِ الكَريمِ^(١)
مِنِ اللَّائِي تَطِيعُهُمُ القِوافِي
وَتَنقُادُ انْقِياذاً كَالغَريمِ^(٢)
وَتَأْلُفُهُمُ مَعانٍ شارداتُ
دَقِيقاتُ أَرْقٍ مِنَ النِّسَمِ
لِها في قَلبٍ سامِعها دَبيبُ^(٣)
دَبيبِ البَرِّ في ذاتِ السَّقِيمِ^(٤)
وَتُطَرَّبُ مِنْ يَفَرٍّ مِنَ المِثاني
وَتُرقَصُ مِنْ يَكدرُ بِالنَّدِيمِ^(٥)
إِذا هَزُّوا اليَراعَ أَتوا بِسَحَرِ
نُوءِ التَبَيانِ والطَّبَعِ السَّليمِ
وَإِنْ هَزُّوا القَنّا وَنَضُوا سَيَوفاً
تَظَلُّ عِداَتُهُمُ مِثْلَ الهَشيمِ^(٥)

(*) تلقى الأمير عبد القادر نسخة من ديوان عبد الكريم الحمزاوي أحد وجهاء دمشق أهداها إياه فقرضه بالقصيدة، ومدحه لانتسابه للأسرة النبوية الشريفة كما مدح شعره.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٣٤، ٣٥ و"ص"، ص: ٢٨٩، ٢٩٠

(٢) أخذ على استعمال "اللأئي" لجمع الذكور، وهو اسم موصول لجمع المؤنث.

(٣) في "أ" في عظم سامعها. والبيت فيه تمثل بيت أبي نواس:

«فَتَمَشَّتْ فِي مَفْصِلِها

كَتَمَشَّى البَرِّ في السَّقِيمِ»

(٤) المثنائي: العود أو القيثارة.

(٥) في "أ" تطل عداتهم، والهشيم: الزرع الجاف.

نَظَرْتُ كَلَامَهُ فَبَكَيتُ حَزْناً
 وَمَا شَهِمْتُ لِفَضْلِ السَّالِمِ
 وَلَكِنْ مَسَكْنُ الْعَبْرَاتِ مِنِّي
 بَنَجَلَهُمْ وَفَخَّرَهُمُ السَّالِمِ
 كَرِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ مِنْ كَرِيمٍ
 كَرِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ مِنْ كَرِيمٍ^(١)
 إِلَى أَبْنَاءِ هَاشِمٍ قَدْ نَمَنَتْهُ
 نَوُوءُ الْأَحْسَابِ وَالشَّرَفِ الْعَمِيمِ^(٢)
 فَذَخَّرِي حُبَّهُمْ عِنْدَ احْتِيَاجِي
 وَلَا يَغْنِي حَمِيمٌ عَنْ حَمِيمٍ^(٣)

(١) تكرار الكريم يسائر أخلاق الأمير فهو كريم من كرماء يحب من يصفه بذلك.

(٢) نمته : رفعتة.

(٣) يقول إنه يدخر حب آل النبي رجاء أن ينفعه في يوم المشهد العظيم: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ . وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج ٨-١٠ (م).

محامد العلم^(*)

[من الكامل]

سَرَّحَ سَوَادَكَ وَالطَّرُوسُ سَمَاءً
مَا لِّلْسَمَاكِ لَدَى الْعُرُوسِ عِلَاءً^(١)
حَمْدًا لِلَّهِمَّ أَوْحِدِ الْعِلْمَاءَ مَحْدُ
مُودٍ عِلُومًا مَالَهَا إِحْصَاءُ!
هُوَ أَعْلَمُ الْعِلْمَاءِ وَاحِدٌ عَصْرِهِ
هُوَ طَوْدُ سِرِّ هُدًى لَهُ إِهْدَاءُ
وَهُوَ الْإِمَامُ وَأَهْلُ كُلِّ مَحَامِدٍ
مَا دَعْدُ؟ مَا عَلَوَى؟ وَمَا أَسْمَاءُ؟!
أَهْدَى الْوَرَى السَّخَّرَ الْحَلَالَ وَكَمَ لَهُ
هَمِّمْ لَهَا دُومًا عِلًّا وَوَلَاءُ^(٢)
اللَّهِ أَوْلَى آلَ طَهَ سَمُودًا
وَمَحَامِدًا لِعِلُومِهَا إِمْلَاءُ^(٣)
وَاللَّهُ وَدَّهْمُ وَأَعْطَاهُمْ حِمًى
سِرًّا عِلَاهُ لِّلْسَمَاكِ سَمَاءُ^(٤)
لِلَّهِ! مَا أَحْلَى وَأَمْلَحَ مَوْرَدًا
أَهْدَاهُ وَهُوَ إِلَى الْهِمُومِ دَوَاءُ!

(*) قال القصيدة في تقريب تفسير "محمود الحمزاوي" مفتي دمشق الذي أهدى منه نسخة إلى الشاعر.
(١) القصيدة في "أ"، ص: ٣٥، و"ص"، ص: ٩٥، ٩٦، والسواد: كناية عن الحبر الأسود، والسماك: نجم ساطع. أراد في البيت أن معاني "الحمزاوي" عروس المعاني، وأقاربه العلمية سيدة الآثار، ولا أحد يسمو إلى علاه.
(٢) للشطر رواية أخرى هي: "همم لها دوما عطا وولاء".
(٣) صرف (محامد) للضرورة الشعرية (م).
(٤) آل الحمزاوي من الأشراف. وقوله «والله ودهم» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ

هدية وشكر(*)

[من الوافر]

تفضلُّ بالقَبُولِ لها فإني
أرى الدنيا جميعاً دون قدرِك^(١)
لأنك بضعة المختارِ صرفاً
ففخرُ الخلق طراً دون فخرِك^(٢)
وليس الناسُ غيركم بناسٍ
إذا قاسوا بحارهم بدرِك
وإنك إن قبلت - فدتك نفسي -
لقد حملتني أعباء شكرِك

(*) أبيات أرفقها الأمير بهدية أرسلها إلى صديقه المفتي "محمود الحمزاوي".

(١) الأبيات أثبتت في "أ"، ص: ٣٦، وغير مثبتة في بقية المصادر.

ما أكمله (*)

[من المتقارب]

خَلِيلِي ! أَتَانِي مِنْكَ الْكِتَابُ
فَلِلَّهِ دُرُّكَ مَا أَجْمَلُهُ^(١)؛
أَتَانِي كَمَا أَنَا ذَا طَالِبُ
فَلَا زِلْتُ فِي الْوَقْتِ ذَا أَفْضَلُهُ^(٢)
وَلَا زِلْتُ حَائِزُ قِصْبِ السَّبَاقِ
إِلَى كُلِّ فَضْلٍ عِلَا نَائِلُهُ
تَهْزُ الْيَرَاعُ فَتَخْشَى السِّيُوفُ
وَتَصْبِحُ مَهْزُومَةً جَافِلُهُ
وَمَا زِلْتُ السَّمَرُ وَالْمَرْهَفَاتُ
لَأَقْلَامِكُمْ خِدْمًا مَائِلُهُ
إِذَا كَانَ فَضْلُ الْغَنَى بِاللِّسَانِ
فَأَنْتُمْ لَكُمْ أَلْسُنُ فَاضِلُهُ^(٣)
وَإِنْ كَانَ خَاصَّتَهُ كَاتِبًا
فَكَمْ مِنْ خَوَاصٍّ لَكُمْ كَامِلُهُ

(*) بين الأمير، ومفتي دمشق "محمود الحمزاوي" مراسلات، ومن تلك كتاب ورد عليه من المفتي أعجب به،
فرد عليه بقصيدته "ما أكمله".

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٣٦، و"ص"، ص: ٢٨١، ٢٨٢، وفي "أ" دره ما أجمله.

(٢) الأبيات ١٠، ٨، ٢، ١ من هذا القصيدة مخالفة لقواعد القافية؛ فإنها تخلو من ألف التأسيس الثابتة في سائر
الأبيات. فقلوله: «أفضله» لا يتفق من جهة علم القافية مع «نائله» مثلاً. وسناد التأسيس من عيوب القافية.

(٣) في "أ" فضل الفتى.

لئنْ كانَ لفظُ اسمِكُمْ مفرداً
فمعناكُمُ الجمعُ ما أَشْمَلُهُ!^(١)
ولو كانَ بالفضلِ يُرْقَى السَّمَاكُ
رقيتُم وأثقلتُم كاهِلُهُ^(١)
جمعتُ أَداباً وفضلَ انتسابِ
فنأعتُكُم قال: ما أَكْمَلُهُ

(١) في "أ"، فلو كان بالفضل.

عود وورد (*)

[من الطويل]

تبخرُ بعودِ الطيبِ لا زلتَ طيباً
ورشُ بماءِ الزهرِ يا خِلَّ والوردِ^(١)
وما بُغيتي هذا ولكنْ تفاؤلاً
بعودٍ إلى عودٍ ووردٍ إلى وردٍ^(٢)

(*) رأى الأمير ماء متدفقاً من ناعورة البئر قرب المدينة المنورة، فأعجب به فقال البيتين.

(١) البيتان في "ت"، ص: ٧٠٤، و"ص"، ص: ١٤٣، ١٤٤، ولم تنبأ في "أ" وفي "ت" بحر.

(٢) في البيت حنين الشاعر إلى وطنه، وتفاؤله بالعودة إليه.

مناجاة أحد (*)

[من الطويل]

تذكرتُ وشكَّ البين قبل حلولة
فجادتُ عيوني بالدموع على الخدِّ
وفي القلب نيرانٌ تأجج حرُّها
سرتُ في عظامي ثم صارتُ إلى جلدي^(١)
ومالي نفسٌ تستطيعُ فراقهم
فياليتَ قبل البين سارتُ إلى اللحدِ
إلى الله أشكو ما ألقى من النوى
وحملي ثَقِيلٌ لا تقومُ به الأيدي^(٢)
بطيبة طاب العيشُ ثم تمرَّرتُ
حلاوته فالنحسُ أربى على السعدِ^(٣)
أرددُ طرفي بين وادي عقيقها
وبين قُباها "ثم ألوي إلى أحدِ"^(٤)
منازلٍ من أهواءٍ طفلاً ويافعاً
وكهلاً إلى أن صرتُ بالشيب في بُردِ

(*) الأبيات في "أ"، ص: ٤٢، ٤٣ و"ت"، ص: ٧٠٥، و"ص"، ص: ١٤١، ١٤٢ و"ت"، ص: ٥٦

(١) في "أ"، و"ت" سارت في عظامي.

(٢) في "أ"، و"من القوى".

(٣) في "ت"، ثم تمررت.

(٤) قباها: قباء أصل فيها بني أول مسجد في المدينة سمي باسمها.

جَنَاتِ دُمَرٍ (*)

[من الكامل]

عُجْ بِي - فِدَيْتُكَ - فِي أَبَاطِحِ دُمَرٍ

(١) ذَاتِ الرِّيَاضِ الزَّاهِرَاتِ النَّضْرِ

ذَاتِ الْمِيَاهِ الْجَارِيَاتِ عَلَى الصَّفَا

(٢) فَكَأَنَّهَا مِنْ مَاءِ نَهْرِ الْكَوْثَرِ

ذَاتِ الْجَدَاوِلِ كَالْأَرَاقِمِ جَرِيهَا

(٣) سَبَّحَانَهُ مِنْ خَالِقٍ وَمُصَوِّرٍ

ذَاتِ النَّسِيمِ الطَّيِّبِ الْعَطْرِ الَّذِي

(٤) يُغْنِيكَ عَنْ زَبَدٍ وَمَسْكِ أَذْفَرٍ

وَالطَّيْرِ فِي أَدْوَاهِهَا مَتَرْنَمٌ

(٥) بَرَخِيمِ صَوْتٍ فَاقَ نَغْمَةَ مَزْهَرٍ

مَغْنَى بِهِ النَّسَاكُ يَزْهَوُ حَالُهَا

(٦) مَا بَيْنَ أَفْكَارٍ وَبَيْنَ تَفَكُّرٍ

(*) في دمر إحدى أجمل مصايف دمشق بنى الأمير قصراً يصطاف فيه، وفيه فاضت روحه وارتقى إلى الملأ الأعلى رحمه الله.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٥١، و"ت"، ص: ٦٢٧، و"ص"، ص: ١٦٩، ١٧٠، و"ن"، ص: ٥٩، وعج بي: مل واسترح.

(٢) الصفا: الصخر الأملس، والكوثر نهر في الجنة ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر ١.

(٣) الأرقام: الحيات.

(٤) زيد: مادة عطرة تستخرج من سنور الزباد. [مسك أذفر: ذكي الرائحة، جيد إلى الغاية] (م)

(٥) في "أ"، و"ت" مزمر. [والمزهر: العود؛ الآلة الموسيقية المعروفة] (م).

(٦) في "أ" يزكو حالها.

ماشئت أن تلقى بها من ناسكٍ
أوفاتك في فتكه متطورٍ
أين الرصافة والسدير وشعب بو
ان... إذا أنصفتها من دمرٍ!^(١)

(١) الرصافة: إما المدينة العراقية أو السورية، وهما مدينتان تمتازان بحدائقهما الغناء، والسدير: قصر
من قصور ملوك المناذرة في العراق، قال "المنخل الإشكري" يذكره:

«فإذا شريت فإنني رب الخورنق والسدير
وإذا صحت فإنني رب الشويهة والبعير»

[شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري: ت.د. علي الفضل حمودان، مطبوعات مركز جمعة الماجد
للثقافة والتراث بدبي - ط(١) ١٩٩٢]
وشعب بوان: من غوطات فارس، ومن أضخم قصورها في عهد كسرى وهو الذي عناه المتنبي في
قصيدته المشهورة بقوله:

«يقول بشعب بوان حصاني: أعن هذا يسار إلى الطعان!»

[ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح البرقوق، تحقيق: د.عمر فاروق الطباع، ٥٥٧/٢، دار الأرقم - بيروت دت].

الناعورة العاشقة^(*)

[من الطويل]

وناعورة ناشدتُها عن حنينها
حنين الحوار والدموع تسيل^(١)
فقلت وأبدتُ عذرها بمقالها
وللصدق آياتٌ عليه دليلُ !
أستَ تراني ألقمُ الثدي لحظةً
وأدفعُ عنه والبلاء طويل^(٢)
وحالي كحالِ العشيق باتَ محالفاً
يدور بدارِ الحبِّ وهو ذليل^(٣)
يطأ طأى حزنأ رأسه بتذللٍ
ويرفعُ أخرى والعويلُ عويلُ

(*) ارتجلها في مادبة غداء أقيمت على شرفه في حماه، وفي أثنائها استرعت ناعورة انتباهه، وكان ذلك عام ١٢٧٧هـ، ١٨٨٢م.

(١) الأبيات في "ت"، ص: ٦٦٨، و"ص"، ص: ٢٨٣، و"ن"، ص: ٦٠.

(٢) الثدي: هنا كناية عن الدلو المملوء بالماء.

(٣) العشيق: يقصد العشيق.

وليمة الله!!

[من الطويل]

فلم يكن المولى لأكل عَصِيْدَةٍ
دعَاكُمْ وَلَا لَلْجُبْنِ وَالْخُبْزِ وَالْخَلِّ^(١)
وَلَكِنْ دَعَاكُمْ لِلْحَلَاوَةِ وَالشُّوَا
وَكُلُّ لَذِيذِ طَابٍ مِنْ أَنْفَسِ الْأَكْلِ!

(١) البيتان في "أ"، ص: ٥٢، ٥٣. و"ص"، ص: ٢٧١، والعصيدة طعام معروف في الوطن العربي وإن اختلفت مواد عمله بين منطقة وأخرى.

هـ - التصوف

الحمد لله

[من الكامل]

الحمد لله الذي قد خصني
بصفات كل الناس لا النسياس^(١)
الجود والعلم النفس وإنني
لأنا الصبور لدى اشتداد الباس
وتحدثي شكرًا لنعمة خالقي
إذ كان في ضمني جميع الناس^(٢)

(١) الأبيات في "أ"، ص: ٥٢، و"ص"، ص: ٢١٥

(٢) ذكر حقي أن الشطر الثاني له رواية أخرى هي: "وهو الذي بي جامع للناس"، منوهاً إلى أنه ورد مضمناً في قصيدة "الشيخ عبد المجيد الخاني" التي مدح فيها الأمير، والمثبتة في كتاب "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر"، ص ٢٢٣ وقد رجعت إلى الكتاب فلم أجد الأبيات في الموطن المحدد، في نسخة «دار البقعة العربية ١٣٨٤ - ١٩٦٤».

أستاذي الصوفي(*)

[من الطويل]

أَمْسَعُودُ ! جَاءَ السَّعْدُ وَالْخَيْرُ وَالْيُسْرُ
وَوَلَّتْ جِيُوشُ النُّحْسِ لَيْسَ لَهَا ذِكْرُ^(١)
لِيَالِي صَدُودٍ وَانْقِطَاعٍ وَجَفْوَةٍ
وَهَجْرَانِ سَادَاتٍ ... فَلَا ذُكْرَ الْهَجْرِ^(٢)
فَأَيَّامُهَا أَضْحَتْ قَتَاماً وَدَجَنَةً
لِيَالِي لَا نَجْمٌ يَضِيءُ وَلَا بَدْرُ^(٣)
فِرَاشِي فِيهَا حَشْوُهُ الْهَمُّ وَالضَّنَى
فَلَا التَّدْلِي جَنْبٌ وَلَا التَّدْلِي ظَهْرُ^(٤)
لِيَالِي أَنْادِي وَالْفُؤَادُ مَتِيماً
وَنَارُ الْجَوَى تَشْوِي لِمَا قَدْ حَوَى الصَّدْرُ^(٥)
أَمُولَايَ ! طَالَ الْهَجْرُ وَانْقَطَعَ الصَّبْرُ
أَمُولَايَ ! هَذَا اللَّيْلُ هَلْ بَعْدَهُ فَجْرُ؟!^(٦)

(*) ذكر في "ت"، ص: ٦٩٤، ٦٩٥ أن القصيدة قالها الأمير، بعد أن انقطع إلى العبادة في غار حراء بمكة المكرمة إلى أن جاءتته البشرية بالرتبة الكبرى على عادة المتصوفة.

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٤٣، ٤٨ و"م"، ص: ١٣٩٨، ١٤٠٢، و"ت"، ص: ٦٩٥، ٦٩٩، و"ص"، ص: ١٨٢، ٢٠٤. ومسعود: يريد نفسه تعبيراً عن فرحته، وسعادته للتعرف إلى أستاذه "محمد الفاسي" مقدم الطريقة الصوفية الشاذلية، والذي أخذ عنه التصوف بمكة المكرمة.

(٢) في "أ"، و"م"، و"ت" ولا ذكر. والسادات: عني بهم علماء الصوفية.

(٣) في "م" ليالي نهارها قتام، ورضة. وليلها. القتام: الغبار الأسود. والدجنة: الظلام، والدخنة: الدخان.

(٤) في "م" ليالي بها فراشي قد حشا. وفي "م" فما التدلي.

(٥) في "م" أقول والفؤاد والجوى وقودها ما حوى.

(٦) في "م" وهل بعده.

أَغِثْ يَا مَغِيثَ الْمُسْتَغِيثِينَ وَالْهَاءُ
 أَلَمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ أَحْبَابِهِ الضَّرُّ^(١)
 أَسْأَلُ كُلَّ الْخَلْقِ هَلْ مِنْ مَخْبَرٍ؟!
 يَحْدِثُنِي عَنْكُمْ فَيَنْعَشَنِي الْخَبَرُ^(٢)
 إِلَى أَنْ دَعَنْتَنِي هَمَّةُ الشَّيْخِ مِنْ مَدَى
 بَعِيدٍ إِلَّا فَادَنْ فَعَنْدِي لَكَ الذَّخَرُ^(٣)
 فَشَمَّرْتُ عَنْ ذَيْلِي الْإِطَارَ وَطَارَ بِي
 جَنَاحُ اشْتِيَاقٍ لَيْسَ يُخْشَى لَهُ كَسْرُ^(٤)
 وَمَا بَعْدَتْ عَنْ ذَا الْمَحَبِّ تَهَامَةٌ
 وَلَمْ يَثْنِهِ سَهْلٌ هُنَاكَ وَلَا وَغْرُ^(٥)
 إِلَى أَنْ أَنْخَنَّا بِالْبَطَاحِ رِكَابَنَا
 وَحَطَّتْ بِهَا رَحْلِي وَتَمَّ لَهَا الْبَشْرُ^(٦)
 بَطَاحُ بِهَا الْبَيْتُ الْمَعْظَمُ قَبْلَةً
 فَلَا فَخْرَ إِلَّا فَوْقَهُ ذَلِكَ الْفَخْرُ
 بَطَاحُ بِهَا الصَّيْدُ الْحَلَالُ مُحَرَّمٌ
 وَمِنْ حَلَّهَا حَاشَاهُ يَبْقَى لَهُ وَزْرُ^(٧)

(١) فِي "م" بَيْتٌ "أَغِثْ يَا مَغِيثٌ..." غَيْرٌ مُوجُودٌ.

(٢) فِي "م" أَسْأَلُ مِنْ لَاقِيَتِ هَلْ مِنْ مَنبَى.

(٣) فِي "م" مِنْ نَدَى. وَ: مِنْ بَعِيدٍ تَعَالَى عِنْدَنَا ذَلِكَ.

(٤) فِي "م"، وَتَ ذَيْلِي الْإِزَارَ. وَفِي "م" اشْتِيَاقِي.

(٥) فِي "م" وَمَا بَعْدَ تَهَامَةٍ عَنْ مَعْنَى. وَلَا نَاءَ عَنْ صَبِّ حِجَازٍ وَلَا غُورٍ.

(٦) فِي "م" فَلَمَّا أَنْخَنَّا. وَ: حَطَّتْ رَحَالُهَا وَتَمَّ لَهُ السَّفَرُ.

(٧) فِي "م" فَلَيْسَ يَبْقَى.

أَتَانِي مَرَبِّي الْعَارِفِينَ بِنَفْسِهِ
 وَلَا عَجَبٌ فَالْشَّأْنُ أَضْحَى لَهُ أَمْرٌ^(١)
 وَقَالَ : فَإِنِّي مِنْذُ أَعْدَادِ حِجَّةٍ
 لَمَنْتَظِرٌ لِقِيَاكَ يَا أَيُّهَا الْبَدْرُ!^(٢)
 فَأَنْتَ بُنَيٌّ مِذَّ "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ" ؟!
 وَذَا الْوَقْتُ حَقًّا ضَمَّهُ اللَّوْحُ وَالسُّطُرُ^(٣)
 وَجَدُّكَ قَدْ أَعْطَاكَ مِنْ قَدَمٍ لَنَا
 نَخِيرَتَكُمْ فِينَا وَيَا حَبْذَا الذَّخْرُ!^(٤)
 فَقَبَّلْتُ مِنْ أَقْدَامِهِ وَبَسَّاطِهِ
 وَقَالَ : لَكَ الْبُشْرَى بِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ^(٥)
 وَأَلْقَى عَلَى صُفْرِي بِإِكْسِيرِ سِرِّهِ
 فَقِيلَ لَهُ : هَذَا هُوَ الذَّهَبُ الْتَبَرُ^(٦)
 وَأَعْنِي بِهِ : شَيْخُ الْأَنَامِ وَشَيْخُ مَنْ
 لَهُ عِمَّةٌ فِي عَذْبَةٍ وَلَهُ الصِّدْرُ^(٧)
 عِيَاذِي مَلَاذِي عُمْدَتِي ثُمَّ عُذَّتِي
 وَكَهْفِي إِذَا أَبْدَى نَوَاجِذَهُ الدَّهْرُ^(٨)
 غِيَاثِي مِنْ أَيْدِي الْعِدَاةِ وَمَنْقَذِي
 مُنِيرِي مُجِيرِي عِنْدَمَا غَمَّنِي الْغَمْرُ^(٩)

(١) فِي "م" فَالْشَّأْنُ فِيهِ أَمْرٌ.

(٢) فِي "م" وَقَالِي : "إِنِّي مِذَّ كَذَا كَذَا حِجَّةً لَتَنْتَظِرُ، وَأَنْتُمْ الْآنَ لَمْ تَدْرُ"، الْحِجَّةُ : السَّنَةُ.

(٣) فِي "م" فَأَنْتَ نَبِيٌّ. وَذَا وَقْتُ مَا تَشْمَنُ اللَّوْحُ وَالسُّطُرُ.

(٤) فِي "م" فَحَدِّكَ قَدْ أَعْطَاكَ حِينَئِذٍ لَنَا، نَخِيرَتَكُمْ هُنَا. الْجَدُّ : يَرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ (ص).

(٥) فِي "م" قَدْ قُضِيَ.

(٦) فِي "م" مِنْ إِكْسِيرٍ. وَ: فَصْفَرِي بَعْدَ أَنَّهُ الذَّهَبُ. الصَّفَرُ بَضْمُ الصَّادِ : النِّحَاسُ الْأَصْفَرُ.

(٧) فِي "م" بَلْ شَيْخُ كُلِّ مَنْ وَ: بَعْدَبَةُ، وَفِي "ت" ذِي غَذْبَةٍ [وَالْفَصِيحُ: عِمَامَةٌ، وَالْعِمَّةُ: النَّوْعُ يُقَالُ هُوَ حَسَنُ الْعِمَّةِ] (م).

(٨) فِي "م" إِذَا مَا أَبْدَى أَنْيَابَهُ الدَّهْرُ، وَفِي "أ" نَوَاجِزِهِ.

(٩) فِي "م" الْبَيْتُ :

"وَمَنْقَذِي مِنْ أَيْدِي الرَّدَى وَمَخْلَصِي

ومحيي رفاتي بعد أن كنت رمةً
وأكسبني عمراً لعمري هو العمر^(١)
محمد الفاسي له من محمد
صفي الإله الحال والشيم الغر^(٢)
بفرض وتغصيب غدا إرثه له
هو البدر بين الأوليا وهم الزهر^(٣)
شمائله تغنيك إن رمت شاهداً
هي الروض لكن شق أكمامه القطر^(٤)
تضوع طيباً كل زهر بنشره
فما المسك؟ ما الكافور؟ ما الندى؟ ما العطر^(٥)
وما حاتم؟ قل لي وما حلم أحنف؟
وما زهد إبراهيم أدهم؟! ما الصبر^(٦)
صفوح يغض الطرف عن كل زلة
لهيبته ذل الغضنفر والنمر^(٧)

- (١) الرفات : حطام الجسد، وبقياءه. و: رمة بكسر الراء وضمها : بقايا عظم الميت.
- (٢) في "م" رسول الإله الحال [وقد ذكر الأمير الشاعر شخصية محمد الفاسي كثيراً في كتاب المواقف، وأخذ عنه وكان شيخ الطريقة الشاذلية] (م).
- (٣) في "م" الشطر الأول : "بارت بتعصيب وفرض كليهما".
- (٤) في "م" البيت
ويكفيك شاهداً شمائله التي
الأكمام : غلاف رقيق يحيط بالزهر.
- (٥) في "م" تفوح طيباً.
- (٦) في "م" البيت :
"وما جود حاتم وحلم أحنف
وزهد أدهم الإمام وصبر"
- حاتم : هو حاتم الطائي الشاعر العربي الذي عاش في الجاهلية يضرب به المثل لكرمه، و الأحنف : واحد من حكماء العرب كذلك. و: إبراهيم أدهم : أحد نساك سورية الذي صرف نفسه عن متاع الدنيا عبادة لله وحده.
- (٧) في "م" صفوح، سموح، يغضي ذلة وتفضي مهابة له الأسد والنمر.

هشوشٌ بشوشٌ يلقي بالرحبِ قاصداً
وعن مثلِ حبِّ المزنِ تلقاه يفتراً
فلا غضبٌ حاشاً بأنْ يستفزّه
ولا حدةٌ كلا ولا عندهُ ضرٌّ^(١)
لنا منه صدرٌ ما تكدره الدلا
ووجهٌ طليق لا يزايله البشرُ
ذليلٌ لأهل الفقر لا عن مهانةٍ
عزيزٌ ولا تيه، لديه ولا كبرٌ^(٢)
وما زهرة الدنيا بشيء له يرى
وليس لها - يوماً - بمجلسه نشرٌ^(٣)
حريصٌ على هدي الخلاق جاهداً
رحيمٌ بهم برّ خبير له القدرُ^(٤)
كساه رسول الله ثوبَ خلافةٍ
له الحكم والتصريف والنهي والأمر^(٥)
وقيل له : إن شئت قل : قدمي علا
على كل ذي فضلٍ أحاط به العصرُ^(٦)

- (١) في "م" أوحده تستفزه، و: صفاته عن أوج الكمال ما تزور.
- (٢) في "م" دليل لأهل الفقر، في البيت معنى قوله تعالى: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. المائدة: ٥٤.
- (٣) في "ت" له ترى. وفي "م" ورد بهذه الصورة:
- لديه شيء لا
- ولا لها يوماً في مجالسه ذكر نشر.
- (٤) في "م" في البيت :
- "حريص على هداية الخلق جاهداً"
- رحيم بهم كأنه الوالد البرّ
- وفي البيت معنى الآية : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾. التوبة: ١٢٨
- (٥) في "م" والنفع والضر.

فذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء
وليس على ذي الفضلِ حصرٌ ولا حَجْرٌ^(١)
وذا وأبيكَ الفخرُ، لافخرٌ من غدا
وقد ملكَ الدنيا وساعدَه النصرُ!^(٢)
وهذا كمالٌ، كلٌّ عن وصفِ كُنْهه
فمن يدَّعي هذا فهذا هو السرُّ^(٣)
أبو حسنٍ لو قد رآه أحبُّه
وقال له : أنتَ الخليفةُ يا بحرُ!^(٤)
وما كلُّ شهمٍ يدَّعي السبقَ صادقٌ
إذا سيقَ للميدانِ بآنَ له الخسرُ^(٥)
وعند تجلِّي النقعِ يظهرُ من علا
على ظهَرٍ جردبَلٍ ومن تحته حُمُرُ^(٦)
وما كلُّ من يعلُو الجوادَ بفارسٍ
إذا ثار نقعُ الحربِ والجوُّ مغْبَرُ^(٧)
فيحمي زماراً يومَ لا ذو حَفِيظَةٍ
وكلُّ حماةٍ الحيِّ من خوفهم فرُّوا^(٨)

(١) في "م" وذلك. و: فما على فضل الله حذر ولا حجر. وفيه معنى الآية : ﴿فَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. الجمعة : ٠٤

(٢) في "م" هذا وأبيك.

(٣) في "م" البيت :

"فهذا هكذا الكمال وإلا لا" فمن يدعي الكمال هذا هو السر.

(٤) في "م" الخليفة لاغير.

(٥) في "م" البيت :

"وما كل مدع الخلافة صادقاً" إذا سيق للمسيار بآن له والخسر.

(٦) في "م" البيت :

وعندما يتجلّى الغبار تبدأ من على هر أجرد ومن تحته غير.

النقع : الغبار. والجرديل : الفرس القوي. والأجرد : فرس قصير الشعر، والحر : جمع حمار : العير.

(٧) في "م" من ركب. و: إذا حمي الوطيس.

(٨) في "م" فيحمي الزمان. و: يحام وكل شجعان الحي قد فروا.

ونادى ضعيفُ الحيّ من ذا يُغيثني؟!
أما من غيور؟! خانني الصبرُ والدهرُ^(١)
وما كلُّ سيفٍ ذو الفقارٍ بحدّه
ولا كلُّ كرّارٍ عليّاً إذا كرّوا^(٢)
وما كلُّ طيرٍ طار في الجوّ فاتكاً
وما كلُّ صيّاحٍ إذا صرصرَ الصقّرُ^(٣)
وما كلُّ من يُسمّى بشيخٍ كمثله
وما كلُّ من يدعى بعمرٍو إذا عمرو^(٤)
وذا مَثَلٌ للمدّعين ومن يكنّ
على قدمٍ صدقٍ طبيباً له خبرُ^(٥)
فلا شيخٌ إلا من يخلّص هالكاً
غريقاً ينادي: قد أحاط بي المكرُ^(٦)
ولا تسألن عن ذي المشائخ غير منّ
له خبرةٌ فاقت وما هو مُغتَرُ^(٧)
تصفّح أحوالَ الرجالِ مجرباً
وفي كلِّ مصرٍ بل وقطرٍ له أُمُرُ^(٨)

- (١) في "م" فإنني في أيدي العدا فلا يدي أسر.
(٢) في "م" كل فارس. ذو الفقار: سيف علي بن أبي طالب [علياً. كذا وردت، والوجه أن يقال: عليّ] (م).
(٣) في "م" فلا طير صارح إذا صرصر الصقر.
(٤) في "م" من تسمى بالشيخ هو ذا. و: من يدعي عمدا ذا عمر. وفي "ت" ولا كل عمرو: أراد عمرو بن العاص [وأرجح أن يكون المقصود عمرو بن معد يكرب، وقد ضربت العرب به المثل كقول أبي تمام: إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس
قال التبريزي في شرح ديوانه: هو عمرو بن معد يكرب، وضرب المثل بسيفه الصمصامة فليل: صمصامة عمرو] (م).
(٥) في "م" فهذا أمثال المدعين.
(٦) في "م" غدا وقد أحاط به.
(٧) في "م" عن المشائخ و: فاقت بالأمر ماهو.
(٨) في "م" منهل ومصر.

فأنعم بمصر ربّت الشيخ يافعاً
وأكرم بقطر طار منه له ذكر^(١)
فمكة ذي خير البلاد فديتها
فما طاولتها الشمس - يوماً - ولا النسر^(٢)
بها كعبتان : كعبة طاف حولها
حجيج الملا بل ذاك عندهم الظفر^(٣)
وكعبة حجاج الجناب الذي سما
وجلّ فلا ركن لديه ولا حجر^(٤)
وشتان ما بين الحجيجين عندنا !
فهذا له ملك وهذا له أجر^(٥) !
عجبت لباعي السير للجانب الذي
نقدس ممّا لا يجد له السّير^(٦)
ويُلقي إليه نفسه بفنائها
بصدق تساوى عنده السرّ والجهر^(٧)
فيلقى مناخ الجود والفضل واسعاً
ويلقى فراتاً طاب نهلاً فما القطر^(٨) ؟

(١) في "م" البيت :

"فنعم البلاد ربت الشيخ يافعاً وخير البلاد صار منها له ذكر".

(٢) في "م" فمكة خير بلدة خير بقعة. وما طاولتها [النسران كوكبان في السماء؛ وهذا هو المعنى المقصود] (م).

(٣) في "م" وأنا ذاك.

(٤) في "م" حجر: أراد الحجر الأسود، وقد سكن الجيم لضرورة الوزن، وهو مباح للشاعر. [والحجر (بكسر الحاء وسكون الجيم) الحائط المستدير من جهة الميزاب، وكلام الأمير هنا يجري على منهج الصوفية] (م).

(٥) في "م" عندما.

(٦) في "أ" لم لا يجد. في "م" تقدس كيف لا يجد به. في "ت" تقدس سرا.

(٧) في "م" إليه ويلقى.

(٨) في "م" فراتاً طاب ورده والصدر.

ويلقى رياضاً أزهرت بمعارفٍ
 فيا حبّذا المرأى ! وياحبّذا الزهرُ !
 ويلقى جنائناً فوق فردوسِها العلا
 وما لجِيفانِ الخلدِ إن عبقتْ نشرُ
 ويشربُ كأساً صرفةً من مُدامةٍ
 فيا حبّذا كأسُ ! وياحبّذا خمُرُ !^(١)
 فلا غَوْلَ فيها لا ولا عنها نزفةُ
 وليس لها بردٌ وليس لها حرُّ^(٢)
 ولا هوَ بعد المزجِ أَصْفَرُ فاقعُ
 ولا هوَ قبل المزجِ قانٍ ومحمَرُّ^(٣)
 معتّقةٌ من قبلِ كِسرى مَصونةُ
 وماضمَّها دنُّ ولانالها عصرُ^(٤)
 ولا شأنها زقٌّ ولا سارَ سائرُ
 بأجمالها كلاً ولا نالها تجرُّ^(٥)
 فلو نظرَ الأملاكُ ختمَ إنائِها
 تخلَّوْا عن الأملاكِ طوعاً ولا قَهْرُ^(٦)
 ولو شمَّتِ الأعلامُ في الدرسِ ريحَها
 لما طاشَ عن صوبِ الصوابِ لها فكرُ^(٧)

(١) في "م" فيشرب. وفي البيت الآتي : وليس بها، في "م"، وت، والغول من غالية الخمر : إذا أفسدت عقله، وذهبت به.
 (٢) استفاد الشاعر من الآية الكريمة: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ الصافات ٤٧. والشاعر يتحدث عن
 خمرة الصوفية المعنوية (م).

(٣) في "م" قان محمر.

(٤) في "م" ولا ضمها.

(٥) في "م"،

بأجمالها ولا تملكها التجر.

"زق ولا حدا حادي

(٦) في "م" فلو رأيت. و: تخلت عن. وكذلك في "أ" و"ت".

فيا بُعدهم عنها ! ويابئسَ مارضُوا !
 فقد صدَّهم قصدٌ وسَيَّرهم وزرٌ^(١)
 هي العلمُ كلُّ العلمِ والمركزُ الذي
 به كلُّ علمٍ، كلُّ حينٍ له دورٌ
 فلا عالمٌ إلَّا خبيرٌ بِشربِها
 ولا جاهلٌ إلَّا جهولٌ بها غرٌ
 ولا غيبٌ في الدنيا ولا من رزيئةٍ
 سوى رجلٍ عن نيلِها حظُّه نزرٌ^(٢)
 ولا خسِرَ في الدنيا ولا هو خاسرٌ
 سوى وآله والكفُّ من كاسِها صِفِرٌ^(٣)
 إذا زمزم الحادي بذكرِ صفاتها
 وصرحَ ماكنى ونادى نأى الصَّبِرُ^(٤)
 "وقال : اسقني خمرًا وقل لي : هي الخمرُ
 ولا تَسْقِنِي سرًّا إذا أمكنَ الجهرُ"
 "وصرحَ بمن تهوى ودعني من الكنى
 فلا خيرَ في اللذاتِ من دونِها سترٌ"^(٥)
 ترى سائقِها كيف هامتْ عقولُهم
 ونازلهم بسطٌ وخامرهم سكرٌ^(٦)
 وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم
 وشَمَسُ الضحَى من تحتِ أقدامهم عفرٌ
 وقالوا : فمن يرجى من الكونِ غيرُنا ؟
 فنحنُ ملوكُ الأرضِ لا البيضُ والحمَرُ^(٧)

(١) في "م" عماهم قعدوا له. و: فقصدهم قصد. وكذلك في "ت".

(٢) في "م" فلا. و: لا هو مغبون. و: رجل من شربها.

(٣) في "م" سوى من غدا.

(٤) في "م" ما كنى لا خوف ولا حذر.

(٥) البيتان لأبي نواس والأول منهما هو مطلع القصيدة «ألا فاسقني خمرًا» [ديوان أبي نواس، شرحه وضبطه: د.عمر فاروق الطباع. دار الأرقم - بيروت ١٩٩٨ - ص ٢٢٢].

(٦) في "م" ترى الذائقين منها هامت. وأيضاً في "أ" و"ت".

(٧) في "م" البيت :

فنحن الملوك لا سودان ولا حمير

"قالوا : من الذي له الملك غيرنا !

تميدُ بهم كَأْسُ بها قد تولَّهوا
 فليسَ لهمَ عِرفٌ وليسَ لهمَ نَحْرٌ^(١)
 حيارى... فلا يدرونَ أينَ توجَّهوا
 فليسَ لهمَ ذِكرٌ وليسَ لهمَ فِكرٌ^(٢)
 فيطربهمُ برقٌ تالِقٌ بالحمى
 ويُرقصهمُ رعدٌ بسُلعٍ له أزرٌ^(٣)
 ويسكرهمُ طيبُ النسِيمِ إذا سرى
 تظنُّ بهمُ سحرًا وليسَ بهمُ سحرٌ^(٤)
 وتبكيهمُ وُرُقُ الحمائمِ في الدجى
 إذا ما بكتُ منَ ليسَ يُدرى له وكرٌ^(٥)
 بحزنٍ وتلحينٍ تجاوبتا بما
 تذوبُ له الأكبادُ والجلمدُ الصخرُ^(٦)
 وتسببِيهمُ غزلانُ رامةٌ إن بدتْ
 وأحدقُها بيضٌ وقاماتُها سمرٌ^(٧)
 وفي شَمِّها حقًا بذلنا نفوسنا
 فهانَ علينا كلُّ شيءٍ له قدرٌ^(٨)
 ومِلنا عن الأوطانِ والأهلِ جملةً
 فلا قاصراتُ الطرفِ ثنِي ولا القصرُ^(٩)

(١) في "م" بهم أفراحهم. و: فمالهم.

(٢) في "م" فمالهم. و: ومالهم.

(٣) في "م" له أزر [والأزر هنا: القوة والشدة] (م).

(٤) في "م" نسيم بحد. و: وما بهم.

(٥) في "م" بالدجى. و: له وكر [واخترنا رواية التحفة والمواقف].

(٦) في "م" تجاوب تلك هذه بتخزن. الجلمد : الصخر، الحجر.

(٧) في "م" وأحدقها نبل، وأجياها سمر [رامة موضع في طريق البصرة إلى مكة. ويذكرها الشعراء كثيراً. وهناك مواضع آخر باسم رامة] (م).

(٨) في "م" وفي شَم ريحها. و : فهانت وهان كل شيء.

(٩) في "م" الطرف غنت، وفي البيت معنى قوله تعالى : ﴿عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ﴾. الصفات : ٤٨ .

ولا عَنْ أَصْيَحَابِ الذَّوَائِبِ مِنْ غَدَتْ
 مَلَاعِبُهُمْ مَنِّي : التَّرَائِبُ وَالنَّحْرُ^(١)
 هَجَرْنَا لَهَا الْأَحْبَابَ وَالصَّحْبَ كُلَّهُمْ
 فَمَا عَاقَبْنَا زَيْدٌ وَلَا رَاقَبْنَا بَكْرُ^(٢)
 وَلَا رَدَّْنَا عَنْهَا الْعَوَادِي وَلَا الْعِدَا
 وَلَا هَالَبْنَا قَفَرٌ وَلَا رَاعَبْنَا بَحْرُ
 وَفِيهَا حَالِي الذَّلُّ مِنْ بَعْدِ عَزَّةٍ
 فَيَا حَبِذَا هَذَا وَلَوْ بَدَّوْهُ مُرُ^(٣)
 وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ الْإِلَهِ وَمَنْنَتِهِ
 عَلَيَّ فَمَا لِلْفَضْلِ عَدُّ وَلَا حَصْرُ^(٤)
 وَقَدْ أَنْعَمَ الْوَهَابُ فَضْلًا بِشَرِبَهَا
 فَلِلَّهِ حَمْدٌ دَائِمٌ وَلَهُ الشُّكْرُ
 فَقُلْ لِلْمُلُوكِ الْأَرْضُ : أَنْتُمْ وَشَأْنُكُمْ
 فَكَسَمْتُكُمْ ضِيْزِي وَقَسَمْتُنَا كُنُرُ^(٥)
 خُذِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَى؛ أَبَاغِيهِمَا مَعَاً
 وَهَاتِ لَنَا كَأْساً فَهَذَا لَنَا وَفَرُ^(٦)!!
 جَزَى اللَّهُ عَنَّا شَيْخَنَا خَيْرَ مَا جَزَى
 بِهِ هَادِيًّا فَالْأَجْرُ مِنْهُ هُوَ الْأَجْرُ
 أَمْوَلَايَ ! إِنِّي عَبْدُ نِعَمَائِكَ الَّتِي
 بِهَا صَارَ لِي كُنُرٌ وَفَارَقَنِي الْفَقْرُ^(٧)

(١) فِي "م" عَنْ أَصْحَابِ الذَّوَائِبِ غُلْمَان. الذَّوَائِبُ : ضِفَائِرُ الشَّعْرِ، وَذَوَائِبُ الْقَوْمِ : طَلَائِعُهُمْ.

(٢) فِي "م" وَلَا رَاعَنَا بَكْر.

(٣) فِي "م" عَزَّتِي. وَ: وَلَوْ فِي أَوَّلِهِ.

(٤) فِي "م" مِنْ مِنَ الْإِلَهِ وَفَضْلُهُ.

(٥) فِي "م" لِلْمُلُوكِ شَأْنُهُمْ وَمَا رَمَتُمْ. وَالْبَيْتُ تَضْمَنَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿تِلْكَ إِذْ قَسَمَ ضِيْزِي﴾. النِّجْم :

٢٢ . [قَرَأَ: ضِيْزِي بِالْيَاءِ وَضِيْزِي (بِالْهَمْزِ؛ قَرَأَ بِهَا ابْنُ كَثِيرٍ) وَالْمَعْنَى: جَائِرَةٌ عَنْ الْعَدْلِ] (م).

(٦) فِي "م" نَعَمَ لَنَا.

(٧) فِي "م" إِنِّي عَبْدُ نِعَمَائِكَ. وَ: بِهَا صَحَّ لَهُ الْغِنَا.

وصرتُ مَلِيكًا بَعْدَمَا كُنْتُ سَوْقَةً
 وسَاعَدَنِي سَعْدٌ فَحَصَبَاؤُنَا دُرٌّ^(١)
 أَمْوَلَايَ ! إِنِّي عَبْدٌ بَابِكَ وَاقِفٌ
 لَفَيْضِكَ مُحْتَاجٌ لَجُودِكَ مُضْطَرٌّ^(٢)
 فَمُرْ أَمْرَ مَوْلَى الْعَبِيدِ فَإِنِّي
 أَنَا الْعَبْدُ ذَاكَ الْعَبْدُ لَالْخَادِمِ الْحُرِّ^(٣)
 هَنِيئًا لَنَا يَا مَعْشَرَ الصَّحْبِ ! إِنَّمَا
 لَنَا حَصْنٌ أَمِنَ لَيْسَ يَطْرُقُهُ دُعْرٌ
 فَنَحْنُ بَضْوَاءُ الشَّمْسِ وَالْغَيْرُ فِي دَجَى
 وَأَعْيُنُهُمْ عُمَى وَأَذَانُهُمْ وَقْرٌ^(٤)
 وَلَا غُرُوفٍ فِي هَذَا وَقَدْ قَالَ رَبُّنَا :
 تَرَاهُمْ عَيُونَ يَنْظُرُونَ وَلَا بَصَرَ^(٥)
 وَغَيْمُ السَّمَاءِ مَهْمَا سَمَا هَانَ أَمْرُهُ
 فَلَيْسَ يُرَى إِلَّا مَنْ سَاعَدَ الْقَدْرُ^(٦)
 أَلَا فَاعْمَلُوا شُكْرًا لِمَنْ جَادَ بِالذِّئِ
 هَدَانَا وَمَنْ نَعَمَائِهِ عَمَّنَا الْيُسْرُ
 وَصَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْوَرَى خَيْرِ مَرْسَلٍ
 وَرُوحِ هِدَاةِ الْخَلْقِ حَقًّا وَهُمْ ذُرٌّ^(٧)
 عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا قَالَ قَائِلٌ :
 أَمْسَعُودُ ! جَاءَ السَّعْدُ وَالْخَيْرُ وَالْيُسْرُ !

(١) السوقة: الرعية تسوسها الملوك (م).

(٢) في "أ"، و"ت" لجيدواك.

(٣) في "م" فمرني كما يكون للعبد من مولى.

(٤) في "م" في ضوء. و: في أذانهم.

(٥) في "م" فقد قال. و: تراهم ينظرون ليس لهم بصر.

(٦) في "م" ونجم السما. و: ساعده.

(٧) في "م" الخلق مذوهم در.

غيب

[من الطويل]

أيا نفسُ إن الأمرَ غيبٌ فما تدري
بماذا يكونُ الكشفُ في آخرِ العمرِ^(١)
فإمّا بشيرٌ باللقاءِ وبالرضى
على طولِ عتبٍ بالزيارةِ للزور^(٢)
وإمّا بضدٌّ بل ولا كانَ ضدُّ ذا
تعالى إلهي عن عذابي وعن ضري
وليسَ تلافٍ بل ولا ردُّ فئاتٍ
هناك ولا يجدي سوى الجبرِ للكسرِ
أليسَ لهذا الخطبِ - ويحك - شاغلٌ
عن الأهلِ والأصحابِ زيدٍ وعن عمرو
أيا سامعَ الشكوى ! ويادافعَ البلا !
ويا منقذَ الغرقى ! ويا واسعَ البر !
تجهتُ لكم وجهي بأكرمِ شافعٍ
محمدٍ المبعوثِ للعبدِ والحرِّ
لترسلَ لي عندَ الوفاةِ مبشراً
برضوانك الأوفى وفوزي في الحشرِ

(١) القصيدة في "أ"، ص : ٤٠ و"ص"، ص : ٢٠٤، ٢٠٥ الأمر : الأخيرة.

(٢) الزور : الذي يزور.

مسكين... لم يذق طعم الهوى

[من البسيط]

أوقاتٌ وصلكمُ عيدٌ وأفراحُ
يا من همُّ الرُّوحِ لي والرُّوحُ والراحُ^(١)
يا من ! إذا اكتحلتُ عيني بطلعتهمُ
وحققتُ في محيَّا الحسَنِ ترتاحُ^(٢)
دَبَّتْ حميَّاهُمُ في كل جَوهرةٍ
عقل ونفس وأعضاء وأرواحُ^(٣)
فَمَا نظرتُ إلى شيءٍ بداً أبداً
إلا وأحبَّابُ قلبي دونه لأحوا^(٤)
نظرتُ حسنَ الذي لا شيء يشبهُهُ
فما يروقُ لقلبي بعد ملاحُ^(٥)
وليسَ في طاقتي الرؤيا لغيرهمُ
ولو قَلَّتْني الورى في ذاك أو شاحوا^(٦)
غرقتُ في حبهم دهرًا ألم ترني
في بحرهم سفنٌ - حقًا - ومَلَحُ؟^(٧)

(١) القصيدة في "آ"، ص: ٤٩، ٥٠ و"م"، ص: ١٦، ١٧ و"ص"، ص: ١٢٥، ١٢٩ و: الروح : الراحة، والراح : الخمرة.

(٢) في "م" وخففت.

(٣) في "م" في كل جوهرة حمياهم، الحميا : ما تتركه الخمرة من أثر في الجسم، وفي القافية إقواء.

(٤) في "م" أبدا إلى شيء بدا.

(٥) في "م" فلا يروق.

(٦) في "م" لطاقة. و: لذاك. قلتنى : هجرتني [يقال: أشاح بوجهه: نحاه، وأعرض، والفعل مزيد بالهمزة] (م).

(٧) في "م" دهرًا وها أنذا [حق كلمتي (سفن وملح) النصب. ولا بد من التأويلات البعيدة لقبول النص على

حاله] (م).

ماذا على مَنْ رأى - يوماً - جمالهم
 أن ليس تبدؤ له شمس وإصباح
 جبال مكة لو شامت محاسنهم
 حنوا ومن شوقهم ناحوا وقد صاحوا^(١)
 شهب الدراري مدى الأيام سابعة
 لو أبصرتهم لما جاؤوا ولا راحوا^(٢)
 لو كنت أعجب من شيء لأعجبني
 صبر المحبين : ما ناحوا ولا باحوا
 أريد كتم الهوى حيناً فيمنعني
 تهتكى كيف لا ؟! والحب فضاح
 لاشيء يثني عناني عن محبتهم
 ولا الصوارم في صدري وأرمح^(٣)
 قال العواذل : فيك السحر قلت لهم :
 نعم ! ولي صحة فيه وإصلاح^(٤)
 لا زال يربو مع الأثبات بي أبداً
 فلي به بين أهل الحب أمداح^(٥)
 ياعاذلي ! كن عذيري في محبتهم
 فإن قلبي بما يهواه مشحاح^(٦)
 إن الملام لإغراء وتقوية
 مهلاً ! فإنك مكثار وملحاح^(٧)

(١) في "م" أجبال، ورأت محياهم. وشام : أبصر، وتبع الشيء بعينه.

(٢) في "م" مدى الزمان.

(٣) مجرى الكلام: «ولا الصوارم الموجهة إلى صدري ولا الأرمح» وقد عطف الشاعر النكرة على المعرفة، ولم يكرر لا النافية التي يحسن الكلام بها. (م)

(٤) في "م" قال العذول بكم سحر، فقلت لهم، وذا السحر صحة.

(٥) في "م" أهل العشق [«أمداح» ترد عند الأندلسيين والمغاربة لمعنى مدائح. وهي غير معجمية] (م).

(٦) في "م" تهواه. وأيضاً في "أ".

(٧) في "م" وتقوية.

إني لأهجرُ خلًّا لا يحددُّني
 عنهم وتحرمُ في التوراة أرواح^(١)
 شرعُ المحبة قاضٍ في حكومته
 بصرمُ خلٍّ من الأشجان يرتاح^(٢)
 مسكينٌ ! ما ذاقَ طعمَ العشق منذ بدأ
 ولا استفزَّته من لقمان أرواح^(٣)
 فما نديمي بحانِ الأنسِ غيرُ فتى
 له لأخبارهم نشرٌ وإيضاح^(٤)
 لا كسبٍ لي بل ولا شغلٌ ولا عملٌ
 ففي حديثهم تجرُّ وأرباح^(٥)
 ما جنةُ الخلدِ إلا في مجالسهم
 فيها ثمارٌ وأطيَّارٌ وأرواحُ
 هوَى المحبِّ لدى المحبوبِ حيث ثوى
 وكيفما راحَ هبَّتْ منه أرواح^(٦)
 أودُّ طولَ الليالي إن خلوتُ بهم
 وقد أدبرتُ أباريقُ وأقداح^(٧)

- (١) في "م" عنهم وماله من توراتي. وفي "أ" ويحرم من توراتي الأرواح.
- (٢) في "م" غدا من شجوني.
- (٣) في "م" الشطر الثاني: "في ذاق من جملة الأنعام سراح. روح لقمان: هو الأمونياك يشمم منه المغمى عليه ليستفيق. وبعد البيت يأتي بيتان في "م" و"أ"، وهما:
- "ما بات يرعى النجوم ساهرا قلقا
 أساود الشوق في أحشائه طاحوا
 مادب في عظمه خمير الهوى أبدا
 «ولا يشججه من سعاد أرواح»
- وفي "أ" و"ف" ذاك من جملة الأنعام سراح".
- (٤) في "م" ولا سميري بحان.
- (٥) في "م" لي غير موجود.
- (٦) في "م" أدواح.
- (٧) في "م" أين ثوى. و: يرتاح مهما تهب. الخلوة، والأقداح، والأباريق: ترمز إلى معاني صوفية صرفة.

يَرُوعُنِي الصَّبْحُ إِن لَّاحَتْ طَلَائِعُهُ
يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ ضَوْءٌ وَإِصْبَاحُ!
لَيْلِي ! بَدَا مَشْرِقًا مِنْ حَسَنِ طَلَعَتِهِمْ
وَكُلُّ ذَا الدَّهْرِ أَنْوَارٌ وَأَفْرَاحُ^(١)
أَسْكُنْ فَوَادِي ! وَطَبْ نَفْسًا وَقَرَّ لَقْدُ
بَلَّغْتَ مَا رَمَتَ قَرَّ النَّاسُ أَوْ سَاحُوا^(٢)
وَاطْلُبْ إِلَهَكَ مَا تَرْجُو فَإِنَّ لَهُ
خَزَائِنًا مَالَهَا قِفْلٌ وَمِفْتَاحُ^(٣)

(١) فِي "م" لَيْلِهِ بَدَا مَشْرِقًا. وَ: الدَّهْرُ كُلُّهُ أَنْوَارٌ.

(٢) فِي "م" وَقَرْنَا عَمَّا شَاكَرَ.

(٣) فِي "م" إِلَهَكَ فِي الْمَزِيدِ. وَ: خَزَائِنًا [وَصَرَفَ «خَزَائِنَ» لِلضَّرُورَةِ] (م).

أنا الحب والمحبوب والحب جملة

[من الطويل]

عن الحبِّ مالي كلِّمًا رمتُ سلوانًا
أرى حشَوَ أحشائي من الشوقِ نيرانًا^(١)؛
لواعجُ لو أنَّ البحارَ جميعَها
صَبَبْنَ لكانَ الحرُّ أضعافَ ماكانا^(٢)
تئجُّ إذا ما نجدُ هبَّ نسيْمُها
وتذكُّو بأرواحِ تناوُحِ ألوانا^(٣)
فلو أنَّ ماءَ الأرضِ طرًّا شربْتُهُ
لما نالني ريٌّ ولا زلتُ ظمآنًا
وإن قلتُ - يومًا - قد تدانتُ ديارنا
لأسلو عنهم زادني القربُ أشجانًا
فما القربُ لي شافٍ ولا البعدُ نافعٌ
وفي قُربنا عشقٌ دعاني هيمانًا^(٤)
وفي بعدنا شوقٌ يقطعُ مهجتي
كتقطيعِ بيتِ الشَّعرِ للنظمِ ميزانًا^(٥)
فيزدادُ شوقي كلِّمًا زدتُ قربةً
ويزدادُ وجدي كلِّمًا زدتُ عرفانًا

(١) القصيدة في "أ"، ص: ٥٠، ٥١ و: "ص"، ص: ٢٩٩، ٣٠١

(٢) اللاعج: حرقه الحب.

(٣) في "أ" تاج. و: تناوخ. و: بفع: تتوقد وتزفر. و: أرواح: رياح. وتذكو: تزداد اشتعالًا.

(٤) هام في الحب: سار على غير بصيرة ودراية.

(٥) أراد أن الشوق قطع مهجته كما يقطع البيت الشعري إلى تفعيلات، أي إلى أجزاء.

فيا قلبيَّ المجروح بالبعدِ واللقا !
دواكَ عزيزُ لستَ تنفكُ ولَهائنا
ويا كبدي ذوبي أسىً وتحرقاً !
ويا ناظري ! لا زلتَ بالدمعِ غرقاناً
أسائلُ عن نفسي فإني ضللتُها
وكان جنوني مثلَ ما قيل : أفئناناً
أسائلُ مَنْ لاقيتُ عني والِهاً
ولأَ تحاشاهمُ : رجالاً ورُكباناً
أقولُ لهمُ : من ذا الذي هو جامعي
ويأخذني عبداً مدَى الدهرِ حلواناً
وأسألُ عن نجدٍ وفيه مخيِّمي
وأطلبُ روضَ الرقتينِ ونعمائنا^(١)
منازلُ كانتُ لي مصيفاً ومربعاً
غداةَ بها أدعى صبيّاً وشيْباناً
ومن عجبٍ ما هِمتُ إلا بمُهجتي
ولا عشقتُ نفسي سواها وما كانا
أنا الحبُّ والمحبوبُ والحبُّ جملةً
أنا العاشقُ المعشوقُ سرّاً وإعلاناً^(٢)

(١) «نجد» و«الرقتان» و«نعمان» مواضع ذكرها شعراء الغزل كثيراً في العصور المختلفة. واستفاد منها الشاعر في العشق الصوفي الذي طوع لنفسه أدوات أغراض شعرية متعددة (م).

(٢) البيت أدى معنى وحدة الوجود عند المتصوفة بحسب وجهة نظر "ابن عربي" أحد أئمتهم.

أي واد صبحوا

[من الرمل]

ليتهم إذ ملكوني أسجحوا !
ليتهم إذ ما عفوا أن يصفحوا^(١)
رحلوا العيس ولم أشعر بهم
ليت شعري أي واد صبحوا !
أخذوا قلبي وماذا ضرهم
أن يكونوا بجميعي جنحوا !
أي عيش يهنا لي من بعدهم !
طار قلبي وعظامي ملحوا^(٢)
ويح أهل العشق هذا حظهم
هلكي ! مهما كنتم أو صرحتوا^(٣)

(١) الأبيات في "م"، ص: ١٣٩٣ و"ص"، ص: ١٢٩، ١٣٠ [أسجح أي أحسن العفو. يقال: ملكت فأسجح] (م).

(٢) يهنا: مقصور من يهنا، تملحت العظام: تعبيري شعبي مستعمل بصيغة أخرى في الجرائر كقولهم: "روح اتملح اعظامك" وهو بهذا المعنى دعاء بالهلاك والويل [يلزم حذف ألف «يهنا» و«هلكي» في البيت التالي والاكتفاء بالفتحة قبلها ليستقيم الوزن] (م).

(٣) في البيت زحاف في عبارة «هلكي»، وهو مستقبح في حشو البيت.

وحدة الوجود (*)

[من مجزوء الرمل]

أَنَا حَقٌّ أَنَا خَلَقْتُ
أَنَا رَبُّ أَنَا عَبِيدُ^(١)
أَنَا عَرْشُ أَنَا فَرْشُ
وَجِجْ حَيِّمٌ أَنَا خَلْدُ
أَنَا مَاءٌ أَنَا نَارُ
وَهَوَاءُ أَنَا صِلْدُ
أَنَا كَمٌّ أَنَا كَيْفُ
أَنَا وَجْدُ أَنَا فَقْدُ
أَنَا ذَاتُ أَنَا وَصْفُ
أَنَا قَرَبُ أَنَا بَعْدُ
كُلْ كَلَامٌ ذَاكَ كَلَامِي
أَنَا وَحْدِي أَنَا فَرْدُ

(١) الأبيات في "م"، ص: ١٢٢٤، و: "ص"، ص: ١٣٦، في "م" أنا حق أنا خلق. في "ص" وردت عدة صور لبعض ما في هذه الأبيات على أنها أثبتت في "المواقف" وبالعودة إلى "المواقف" لم نجد أي خلاف بين ما ثبت في الديوان نسخة "حقي" المعتمد في تحقيقنا أصلاً، وما في المواقف، فلا ندري أي طبعة للمواقف عناها «صيام»، وبخاصة وهو لم يثبت ذلك في أي هامش كان عدا كلمة «المواقف»، وكذلك لم يذكر مصادره ولا مراجعه بالمعلومات المطلوبة في مكان تحقيقه للديوان كما لم يثبت قائمتها في بداية الديوان أو نهايته.

هو الباطن هو الظاهر (*)

[من الطويل]

أرددُ طرفي في الرسوم فلا أرى
سوى من به كانت : رسوماً وآثاراً^(١)
وأسألها عنه فكلُّ أجابني
بأنه ما رأه يوماً ولا أدرى
فقلتُ لهم : هذا عجيب ! فإنني
ما أبصرته إلا بكم متظاهراً
عرفتُه منكم ثم زاد في عرفاننا
بأنني إياه ولكن منكرًا
عجبتُ له كيف اختفى بظهوره !
فعيني حجابُه الظهور ولا أنفراً
ألا فاعجبوا من ظاهر في بطونه
ومن باطن لا زال بادٍ وظاهراً

(*) تبدو المقطوعة غير متماسكة في الوزن، ولعل الشاعر قد نظمها في حالة غيبوبة صوفية كما ذهب إلى ذلك "حقي"، وهو ما جعلها كذلك. أو أنه عمد إلى هذا الأسلوب عمداً لتسهيل أدائها من لدن حلقات الصوفية.

(١) المقطوعة في "م"، ص : ١٣٩٣، و: "ص"، ص : ١٥٥ وقد أخذ صاحب المواقف المقطوعة عن الديوان بحسب ما في الهامش، لهذا جاءت متطابقة مع المثبتة في الديوان.

كما كنت

[من مجزوء الرمل]

هُنْ إِذَا سَاعِدَكَ الدَّهْرُ فَذُو الْعَقْلِ يَهُونُ^(١)
فَإِذَا حَطَّكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ!

(١) البيتان من شعر السُّمَيْسِرِ الإلبيري الأندلسي (وهو أبو القاسم خلف بن فرج المتوفي ٤٨٤ هـ) أوردهما ابن الأثير في كتابه «التكملة لكتاب الصلوة» (٤٧٠:٢) في درج ترجمة أبي بكر محمد بن جعفر اللخمي القرطبي. قال ابن الأثير: قرأت بخط ابن النعمة حجتني الفقيه المقرئ محمد بن جعفر القرطبي نزيل بلنسية في عقب شهر ربيع الأول سنة ٥١٢، قال أنشدني الشاعر السُّمَيْسِرُ بقرطبة:

هَنْ إِذَا مَا نَلْتَ حَطًّا فَأَخُو الْعَقْلِ يَهُونُ
فَمَتَى حَطَّكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

والاختلاف يسير بين هذه الرواية، وما ثبت في رواية ديوان الأمير عبد القادر. وقافية هذا الشعر يصح أن تكون مطلقة (يهون؛ تكون) ويصح أن تكون مقيدة (يهون؛ تكون). ولا شك عندي في أن الأمير عبد القادر لم يدخل النص في شعره؛ ولكن جمع الديوان من أوراق الشاعر الأمير يقتضي التدقيق، والتحقيق، وإعادة النظر أيضاً. ووجود هذا الشعر، وغيره من أشعار الأندلسيين في أوراق الأمير وكتبه يبين وجهاً من وجوه مصادر ثقافته المتعددة. وكان للأندلس مكانة مهمة (م).

— |

| —

— |

| —

و- الملحقان:

أ - شعر «المواقف»

حديث عجب!

[من البسيط]

لا تعجبوا من حديثي جلّ عن عجبٍ
حقيقٌ قولِي لا لغو ولا كذب^(١)
ولدت جدي، جدّته وبعدهما
أبي تولّد عن أمّي وأيّ أبٍ؟
وبعدَ ذا ولدوني بعد كوني أنا
ووالدي البرّ توأمان في صلب^(٢)
وكنْتُ من قبلُ في الحجورِ ترضعُني
بطيبِ ألبانِها الأمّات لأترب^(٣)
وليس يدري الذي أقولُ غير فتى
قد جاوز الكونَ من عينٍ ومن رُتبٍ

(١) المقطوعة، في "ص"، ص: ١١٤، وفي القافية إقواء.

(٢) في الأصل: «تومان» وأصلحنا الكلمة بما يوافق المعنى والوزن (م).

(٣) في الأصل: «الأمّهات» وهذه تقال في العاقل والأمّات في غير العاقل، وقد تردّ الواحدة في مكان الأخرى لغرض بلاغيّ، أو لضرورة (م)، وفي القافية إقواء.

أنا مطلق

[من الطويل]

أنا مطلق لا تطلبوا - الدهر - لي قيداً
ومالي من حدّ فلا تبغوا لي حدّاً^(١)
ومالي من كيف فيضبطني لكم
ولا صورة لا أعدو منها ولا بدءاً
وما لي شأن يبقّى أنين ثابتاً
وإن شؤوني لا يحاط بها عدّاً
ومالي من مثل ومالي من ضدّ
فلا تطلبوا مثلاً ولا تبغوا لي ضدّاً^(٢)
ولا تنظروا غيري من كلّ صورة
فلا تنظروا عمراً ولا تنظروا زيداً
ولا تطلبوا غيري فما هو كائن
سوى خيالات تحسبون لها وجداً^(٣)
وما هي إلا سترة قد نصبتها
لأبله عقل صبحت عينه رمداً^(٤)
ألا فانظروا إلى الحبيب وفكّروا
فهل غيره ما صار صورته زيداً
فلا كائن إلا أنا به ظاهراً
ولا كائن يكون لي أبداً قيداً
ولا باطن إلا أنا ذاك باطن
ولا ظاهراً غيري فلا أقبل الجحداً

(١) القصيدة في "ص"، ص: ١٣٩، ١٤١

(٢) في البيت كسر عروضي [وينضبط بخطف صوت الواو من «تبغوا» وهذا كثير في هذه الأشياء الصوفية خاصة] (م).

(٣) في البيت كسر عروضي ووجدأ أراد وجوداً [ولا بد من خطف الألف الأولى من: «خيالات»] (م).

(٤) أراد أن ما اعتقده عقل الأبله حقيقة وواقعاً فهو غير ذلك. أي أن من يثق في الدنيا كمن أصيب بالرمد، أي أنه لا يرى الأشياء على حقيقتها، [الشطر الثاني في الأصل: لأبله عقل صور صبحت..] (م).

فقلْ عَالَمٌ وَقُلْ إِلَهٌ وَقُلْ أَنَا
 وَقُلْ أَنْتَ وَهُوَ لَسْتَ تَخْشَى بِهِ رَدًّا
 تَعَدَّدْتَ الْأَسْمَاءَ وَإِنِّي لَوَاحِدٌ
 أَلَا فاعْبُدُونِي مطلقًا نَزْهًا فَرْدًا
 أَنَا قَيْسٌ عَامِرٌ وَلَيْلَى مُحَقَّقًا
 مُحِبًّا وَمُحِبُّوبًا وَبَيْنَهُمَا وَدًّا^(١)
 أَنَا الْعَابِدُ الْمَعْبُودُ فِي كُلِّ صُورَةٍ
 فَكُنْتُ أَنَا رَبًّا وَكُنْتُ أَنَا عَبْدًا
 فَطَوْرًا تَرَانِي لِلْكَنَائِسِ مُسْرِعًا
 وَفِي وَسْطِي الزَّنَارِ أَحْكَمْتُهُ شَدًّا^(٢)
 أَقُولُ بِإِسْمِ الْإِبْنِ وَالْأَبِ قَبْلَهُ
 وَبِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ قَصْدًا وَلَا كَيْدًا^(٣)
 وَطَوْرًا بِمَدْرَاسِ الْيَهُودِ مَدْرَسًا
 أَقَرُّ تَوْرَةً وَأَبْدِي لَهُمْ رَشْدًا
 فَمَا عَبْدَ الْعَزِيزِ غَيْرِي عَابِدٌ
 وَلَا أَظْهَرَ التَّثْلِيثِ غَيْرِي وَلَا أَبْدَى
 وَلَا أَوْرى نَارَ الْغَرَسِ غَيْرَ مُؤَرِّي
 وَمَا قَالِ الْإِثْنَيْنِ إِلَّا أَنَا لَحْدًا
 أَنَا عَيْنُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْحَسَنِ وَالْمَعْنَى
 وَلَا شَيْءَ عَيْنِي فَاحْذَرِ الْعَكْسَ وَالطَّرْدَا^(٤)

(١) في القافية إقواء.

(٢) الزنار: ما يشد على الوسط، والبيت في "ص":

"فطورا تراني مسلماً أي مسلم زهوداً نسوكتاً خاضعاً طالِباً مدّاً"

(٣) من هذا البيت إلى البيت الأخير غير موجودة في "ص".

(٤) في "ص" في الحس والمعنى. [يكشف هذا النص - وما شابهه - موقف الأمير الشاعر من التصوف ورؤيته التي صدر عنها. وأقرب شاهد مشهور لأبيات الأمير الأخيرة من القصيدة قول محيي الدين بن عربي وهو يعبر عن «النزعة الكلية» (ترجمان الأشواق ٣٩-٤٠ بيروت ١٣١٢هـ).

لَقَدْ صَارَ قَالِي قَابِلًا كُلِّ صُورَةٍ
 فَمَرَعَى الْغَزْلَانِ وَدِيرَ الرَّهْبَانِ
 وَبَيْتَ الْأَوْثَانِ وَكِعْبَةَ طَائِفِ
 وَالصَّوْاحِ تَوْرَةٍ وَمَصْحَفِ قُرْآنِ
 أَدِينُ بِمَدِينِ الْحُبِّ أَنَّى تَوَجَّهْتُ
 رُكْنَانِي بِهِ فَالْحُبِّ دِينِي وَإِيمَانِي (م)

الذي أفناني(*)

[من الطويل]

أرى الذي أفناني سيخلفني بعد
يقوم برسمنا فيشملة الحد^(١)
لذاك أرى اسمه يعين رسمنا
يجيب إذا دعي لا رد ولا جحد
فما بالهم يدعونه عبد قادر
ولم يبق إلا قادر ماله عبد^(٢)
لقد باد من قد كان من قبل بائدا
وزال خيال الظل وارتفع السد
وزال عن العقل المصون حجاب
فصار ضالاً ما يراه له رشد^(٣)
فلست أنا ذاك الذي تعرفونه
ألا فاطلبوا من ذا يكلمكم قصد
ولست أنتم الذين عرفتهم
فما عمركم عمرو ولا زيدكم زيد
لقد ضاق صدري بالذي أنا واجد
وتعبيري ما يفي فيبدو ولا يبدو
ألا فاعذروا من ذاق إن ضاق صدره
كما أن من قد ذاق عاذركم يغدو

(*) القصيدة في "ص"، ص: ١٣٩، ١٣٨. (١) القصيدة في مضمونها تستفيد من قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَان . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن: ٢٧، ٢٦ [ولابد من خطف ياء (الذي) ليستقيم الوزن] (م).

(٢) عبد القادر: أراد الشاعر نفسه.

(٣) البيت كنى به عن يوم القيامة كما في الآية: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾، الحج: ٢ ، وفي القافية إقواء، وكذلك قافية البيت التالي.

تجلي المحبوب (*)

[من الطويل]

تجلّى له المحبوبُ من حيث لا يرى
فأعجب به أراه من حيث لا أرى
وغَيَّبَنِي به فغاب رقيبُنَا
وزال حجابُ البينِ وانحسم المِرا
فصرتُ أراه كلَّ حينٍ ولحظةٍ
وقد كانَ غائباً وقد كانَ حاضِراً
وما عُرِفَ الخلاقُ إلا بجمعه
لضدين من كلِّ الوجوه تنافراً
وواصلني فلا تناكرَ بعد ذا
وقربني فكان سمعاً وباصِراً
أسرُّ إليَّ حيثُ لابينَ بيننَا
بسرٍّ حكى لطفَ النسيمِ إذا سرى
ولا طَفَنِي بقوله الحقَّ معلِئاً
أنِّي قد اخترتُ قد اصطفيتُ بلا امْتِراً^(١)
وباسَطَنِي ياماً أَلَذَّهُ قائلُ
تمتّعْ وكحلَّ بالجمالِ نواظِراً
فقد طالما قد كنتَ تصبو إلى اللقا
وكان جمالي بالحجابِ مُستَراً
وكم من شهيدٍ مات بالشوقِ والفنَا
محبُّ لذاك الحسنِ لو كان قدراً

(*) القصيدة في "ص"، ص: ١٥٨ بم ١٥٦ [وفي بعض أبياتها اضطراب في الوزن، واضطراب في القافية وخصوصاً سناد التأسييس]

وكم من شهيدٍ للغرام مشاهدٍ
 لبعض الذي شاهدتُ مات فأقبراً
 وذا قيسٌ عامرٍ تخيل نورنا
 في ليلٍ فمات والهأ متحيراً
 لقد سبقتُ بالفضل منّا عنايه
 إليك فحدثتُ عن عطاي مخبراً
 وغنٌ ودندنٌ لا تمل لمفند
 وكن فرحاً بالوصل لله شاكراً^(١)
 تمل وقر عيناً وأنعم بوصلنا
 أبحننا لك الذي ترى جل ما ترى^(٢)
 وتهدل أنت أهل لكل ذا
 فمن له مثل ذا يكن بهذا أجدر^(٣)
 وقد شرب الحلاج كأس مدامة
 فكان الذي قد كان منه مسطراً^(٤)
 وإنني شربت الكأس والكأس بعده
 وكأساً وكأساً شيا ما أنا حاضراً^(٥)
 وما زال يسقيني وما زلت قائلاً
 له زدني ما ينفك قلبي مسعراً

(١) في ص: لا تصل لمفند.

(٢) الأصل: قر (فعل أمر من ق ر ر) وسكن الشاعر راء الكلمة ضرورة (م).

(٣) الشطر الثاني مضطرب عروضياً.

(٤) الحلاج: أحد أقطاب الصوفية ذكره الأمير في مواطن شتى، كما استلهم بعض أخباره في شعره، وهو عنده كما في البيت من واضعي الطريقة الصوفية. [انظر دراسة عنه في مقدمة ديوانه الذي صنعه

د. كامل مصطفى الشيباني، مكتبة النهضة - بيروت - بغداد] (م).

(٥) الشطر الثاني فيه كسر عروضي، فأتقّل بالزحافات التي تضمنها.

وفي الحال حال السكر والمحو والفناء
وصلتُ إلى لا أينَ حقًّا ولا ورا^(١)
أنا الموسويُّ الأحمديُّ وراثَةً
صعقت ودكَّ طورنا جرى ما جرى

(١) المحو: زهاب الشيء بحيث لا يبقى له أثر. والمحو والإثبات من ثنائيات السلوك الصوفي، كالفناء والبقاء، وربما هذه الثنائية مصدرها من قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾. ﴿الرعد: ٣٩﴾، وانظر: د.سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر / ط / ١/ ١٤٠١، ١٩٨١ ص: ١٠١٦.
والفناء: عند الصوفية هو فناء الخصال المذمومة، ولا يبقى منها إلا كل ما هو محمود والموسوي: نسبة

غاية الذي يبغي

[من الهزج]

فِيَا نَوْرًا بِلَا شَمْسٍ
(١) وَيَا شَمْسًا بِلَا نُورٍ
وَيَا بَخْرًا بِلَا حَدٍّ
وَسَاحِلًا بِلَا بَحْرِ
وَيَا نُخْرًا بِلَا عُرْفٍ
وَيَا عُرْفًا بِلَا نُخْرِ
وَيَا غِيْرًا وَلَا عَيْنٍ
وَيَا عَيْنًا بِلَا غَيْرٍ
وَيَا سِتْرًا بِلَا كَشْفٍ
وَيَا كَشْفًا بِلَا سِتْرِ
وَيَا فَجْرًا بِلَا لَيْلٍ
وَيَا لَيْلًا بِلَا فَجْرِ
يَا حَيْرَتِي يَا دَهْشَتِي
(٢) يَا حَرْفًا مَالَهُ مُقَرَّرٍ
لَقَدْ حَيَّرْتَنِي حَتَّى
(٣) فِي حَيْرَتِي وَفِي أَمْرِي
وَحَارَ كُلُّ ذِي كَشْفٍ
وَذِي عَقْلِ وَذِي فِكَرٍ
وِغَايَةِ الَّذِي يَبْغِي
(٤) عَرَفْنَاكُمْ إِلَى خَسَرٍ

(١) القصيدة في "ص"، ص: ٢٠٩.

(٢) البيت مضطرب: شطره الأول من مجزوء الرجز، والشرط الثاني لا وزن له على هذه الصورة. وأكرر هنا أن شعر الأمير الصوفي مضطرب لإضطراب النقل عنه، أو لإدراج الناسخ ما يشبه الشعر بالشعر (م).

(۳) مضطرب.

(٤) في «ص»: عرفانكم، وعلى الحالين: البيت مضطرب أيضاً: معنى أو وزناً (م).

حقق الأمر (*)

[.....]

أنا كونُ ذاك كوني أنا وحدي أنا فردُ
لا شكَّ أني مجبورٌ وجابرني مجبورٌ^(١)
بالعلم منه قيده لا تبديلَ لا تغييرَ
والعلم أيضا تابعٌ لمتبوعٍ ومقصورُ
فكلنا في قبضته مقيّد ومحصورُ
فأينَ لو شئنا ولو أردنا فيه تخييرُ
يا حيرةَ العقل ويا ظلمةً ما لها نورُ
والجبر لا عذرَ به لجاهل يا مغرورُ^(٢)
سوى الذي عرفه كشافاً فذلك مبرورُ
فحقق الأمرَ تفزُ بعلمٍ عندي مدخورُ^(٣)
وتنـجـو مـثـل من نجى
ولا نـبـ مـنـك مـغـفـورُ

(*) هذه تهويمات وأذكار صوفية لا تدخل في الشعر (م).

(١) الأبيات في "ص": ص: ٢٠٧ ، والبيت في "ص" هو:

«لا شك أني مجبور جابرني مجبور

والجبر لا عذر به لجاهل يا مغرور»

والأبيات كأغلب القصائد الواردة في "المواقف" غير متمثلة لبحر واحد بحسب تفعيلاتها المعروفة.

(٢) في "ص" الشطر الثاني «سوى الذي عرفه كشافاً، فذاك مبرور».

(٣) في "ص" البيت:

«فحقق الأمر تفز بعلم عندي مدخور

- (*) أكثر هذا النص لا يدخل في الشعر، وهو من الأذكار والتسبيحات والنجوى على مذهب القوم (م).
- (١) الأبيات في "ص"، ص: ١٦٥ بم ١٦٤، وهي مضطربة في وزنها بحيث لا تعود إلى بحر واحد، وهي قريبة من النظم أكثر منها إلى الشعر، سجلت موقفاً من مواقف الصوفية أو هي إيماءات، وتعابير متوسل بها في شطحة من شطحات الفرق الصوفية، وقد أعادها صيام إلى بحر الطويل، وهو ما لا ينسحب عليها كما نلاحظ.
- (٢) في "ص":
- «وما حلني ولا حلت أنابه فكأنني مذ كنت فاسمع لي واعتبر».
- (٣) البيت قريب من آخر للشاعر هو:
- «تعددت الأسماء وإنني لواحد أفاعبدوني مطلقاً نزهاً فرداً».
- (٤) في "ص"، فسيئات لفظاً، وهو الذي، و: الحسن.
- (٥) في "ص" الصدى: . و: الحسن.

هويته(*)

[.....]

وما نحنُ إن حَقَّقْتُ بالغير والسوى
هُويُّته سَمْعِي هُويُّته البصر^(١)
هُويُّته عقلي هُويته قلبي
هُويُّته كلي لا تبقى ولا تذر
هُويُّته رجلي هُويته يدي
هُويُّته نفسي وإني ما ذكر
وما حلُّني ولا حللته أنا به فكأنني
مذُ كنت فاسمع لي واعتبر^(٢)
تعددت الألقاب والعين واحد
فما ثمَّ إلا الله لا عين الغير^(٣)
فشيئان لفظ نحن والعين واحد
فأنت هو الأنا وهو أنت فادكر^(٤)
يجيب إذا دعوت فهو الذي دعا
كرجع الصدى الثاني في الحسُّ والأثر^(٥)

(*) هذه القطعة وإن استقامت معظم أبياتها لا تدخل في الشعر. هي من مواجد العباد والزهاد التي يحسن فيها السجع والتقفية والاقتراب من النمط الموزون، وما استقام من الأبيات والأشطار فهو من بحر الطويل (م).
(١) القصيدة في "ص"، ص: ٢١٧بم ٢١٥، والغيهب: الظلمة، أو الضباب، والحجاب في لغة المتصوفين: الطريق الموصول به أي واصل وليس مانعاً كما في معناه الحقيقي والسوى عندهم تعني كل ما عدا الله من المخلوقات.
(٢) السكر: هو عندهم طبعي، وعقلي، وسكر الكمل، أي سكر المؤمنين، والعارفين والسكر الإلهي.
(٣) الواحد: استعمله ابن عربي بمعنى القطب، وتجمع الأضداد أراد به وحدة الوجود.
(٤) زایل ضلال العقل إذ إنه الحبس: يوميء إلى ترجيح القلب على العقل كما في فلسفتهم.

أَمْطُنَا الْحِجَابَ (*)

[من الطويل]

أَمْطُنَا الْحِجَابَ فَاْنَمْحِ غِيْهَبُ السَّوْى
وَزَالَ أَنَا وَأَنْتَ وَهَوُ فَلَ لِبَسُ^(١)
وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُنَا وَمَا كَانَ غَيْرُنَا
أَنَا السَّاقِيَّ وَالْمَسْقِيَّ وَالْخَمْرُ وَالْكَاسُ^(٢)
تَجْمَعَتِ الْأَضْدَادُ فِيَّ وَإِنِّي
أَنَا الْوَاحِدُ الْكَثِيرُ وَالنَّوْعُ وَالْجِنْسُ^(٣)
فَلَ تَحْتَجِبُ بِمَا تَرَى مَتَكْتَرًا
فَمَا هُوَ إِلَّا شَخْصَنَا النَّزْهَ الْقَدْسُ

(٢) الشطر الأول خارج عن وزن الطويل (م).

فما كنت ناظراً بنا أنت ناظرٌ
 إلينا وإلا أنت أعمى به طمسُ
 هو الدين توحيدِي فلا تحسبني غيري
 يوحدني غيري هو الشرك والرجسُ
 فما دمت غيرنا فانت شريكنا
 وهل ثم غيرٌ يا بليدُ به هوسُ
 ففارق وجود النفس تظفر بالمئى
 وزايل ضلال العقل إذ إنه الحبسُ^(١)
 وما توحيدِي المقبول قولاً وإنه
 لفعلٌ فلا يغررك جنٌ ولا إنسُ^(٢)
 وما هو إلا أن تصير إلى الفناء
 وتصعق ليس ثم روحٌ ولا حسُ^(٣)
 تشاهد أحوال القيامة جهرةً
 تُهيأ لك الأكفان والغسل والرأسُ

- (١) القصيدة، في "ص"، ص: ٢٣٤م ٢٣١ والنص فيه كثير من الزحافات التي جعلت وزنه مضطرباً، كما في أغلب قصائده الصوفية بعامية [وفي الأصل: أيا حيرتي وما الذي..] (م).
- (٢) آل: مضارعه يؤول، وقد أراد التغيير والتحول. [وقوله «بما» أي: «بماء»] (م).
- (٣) أظنها «هو المدفع» (م).
- (٤) الظاهر والباطن: لهما معان كثيرة عند المتصوفة مستنتجة من التاويلات التي يعطونها لهما، ومنها الثبوت بالنسبة للظاهر، والتنوع بالنسبة للباطن، فظاهر الإنسان له الثبوت، وباطنه له التنوع انظر: د.سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص: ٧٥١-٧٦١.

أيا حيرتي

[من المتقارب]

أيا حيرتي مَـا الذي أصنعُ
لقد ضقتُ ذرعاً فما يَنْفَعُ^(١)
أكادُ تراني منقَطِراً
جَوَاهِرِي مَبْثُوثَةٌ أَجْمَعُ
وطوراً أذوبُ كثلجٍ بمَا
فَـالَ إلى أَصْلِهِ أَنْفَعُ^(٢)
وكُلُّ مَا قُلْتُ هَذَا مَخْرَجُ
يسدُّ عليّ فَمَا أَطْلَعُ
فإن كنتَ غييراً أنا مشرِكُ
وإن كُنتَ عيناً فذا أَفْظَعُ
وإن كنتَ ذاكَ وذاك أنا
فكلُّ النقيضين لا يُجْمَعُ
وأين تُسمِّيهِ لي ظاهراً
إذا لم يكن برقهُ يلمعُ
وأين تُسمِّيهِ لي باطناً
إذا كان هَذَا هو الدَّفْعُ^(٣)
وكلُّ العوالم طوراً أنا
فقد جمعَ الضدَّ لي مجْمَعُ^(٤)

(١) لعل الأصل: «فهل من دواء لهذا العضال» أي لهذا الداء العضال (م).

(٢) كأن قوله «عو» أو «ع» على طريقة الاكتفاء، أي ذكر جزء من الكلمة اكتفاءً عن سائرهما. والتقدير: عُدْ مثلاً (م).

وطموراً لا شيء يـقـال له
 أنا العالم الأكبر الأجمع
 أنادي مغيثاً فلا منجد
 فقير دعاه فلا يسمع
 فهل من دواء بهذا العضال؟
 ولا من يجبر ولا يدفع^(١)
 وكل طبيب شكوت له
 يقول فذا الداء لي الموجد
 وأهرب من حيرتي كلماً
 توالى فكان لها المرجع
 فحيرتي ما كنت كائنة
 وحتى القيامة لا تفلح
 فأشكو إلى حيرتي حيرتي
 فليس إلى غيرها مفرع
 وكم كائن بهذا ابتلي
 وكل لقد ضم ذا المصراع
 فيا خيبة العقل في حكمه
 على العين ستر فلا يفسح
 فأين الذي فوق عرش علا
 ومن هو في أسفل الأرض عو^(٢)
 ومن أينما نتولى فهو
 له ثم وجهه به برقع^(٣)
 ومن أينما كنا معنا يكن
 ومن يتحول في صور فاسمعوا
 فما بين هذا وذهوته

(١) المهيح: الطريق الآمنة، أو السهلة.

عقول الورى اغتالها سَبْعُ
وتاهت في بيداء مظلمة
مجاهل أرواحها زَعَزَعُ
سكارى وشَتَّى مذهبهم
وكلُّ يقولُ إني اهْرَعُوا
فعندي النجاةُ وعندي الهدى
وعندي السبيلُ وذَا المهْيَعُ^(١)

(*) في بعض أبيات القصيدة اضطراب، وهي موصولة بالبحر البسيط (م).
(١) القصيدة في "ص"، ص: ٢٤٤بم٢٤٣، وهي كأغلب قصائده في «المواقف» حيث تميزت باضطرابات عروضية تجاوزت في بعض الأحيان حتى ما أتاحه العروضيون للشعراء وعدوه شاذاً.
(٢) في كل شعره الصوفي ينتصر للقلب على العقل لإيمانه أن المعرفة عن طريق القلب أوسع منها عن طريق العقل، وهو توجه الصوفية بعامة.
(٣) في الأصل، وفي طبعة صيام: «ربما» وأظنها مصحفة عن «رباً» كما يدل السياق (م).
(٤) العسف: الظلم والجور، و تحميل الشيء ما لا يطاق.

عابد فكرة(*)

[من البسيط]

يا مَنْ غداً عابداً لفكره فقفا
فأنتَ يا غافلاً على شفا جُرف^(١)
جعلتَ عقلك هادياً ونور هدى
أضلك العقلُ أيقنُ أنتَ في تلف^(٢)
نحتُ رباً كما تهوى وقلتَ به
تظلُّ تعبدُ ما خلقتَ في شغف^(٣)
صورته صورةً بالوهم باطلةً
حكمتَ جوراً عليه جور معتسف^(٤)
حكمتَ عقلك في الربِّ العظيم فما
تنفكُّ تحكم فيه حكم ذي سرف
تقولُ ليسَ كذاً وليس هو كذا
الحقُّ في طرفٍ و أنتَ في طرفٍ
قيدتُم مطلقاً لا قيد يحصره
القيدُ حدٌ وليسَ الله كالهدف
فكيف تنكر وصفه، حقيقته
نفيتَ ما أثبتَ القرآنُ في صُحف
لولا توهمُ أن النقصَ يلحقه
لما نفيتَ فإن النقي بعد يفي

(١) ينضبط الوزن لو قرئت: «فالزمن» والتوكيد أسلوب محبب إلى الأمير (م).

(٢) البيت غير موجود في "ص"، وغير مستقيم في وزنه أيضاً.

(٣) السدف: الظلام الحالك.

(٤) في الأصل وطبعة د. صيام «العليا» ويرسم «العلياء» يصح الوزن (م).

الحقُّ في مشرقٍ والعقلُ في مغربٍ
شَتَّانَ ما بينَ ذا وذا فلا تُخَفِ
عليكَ بالشرعِ فالزَّمْ طريقَتَهُ
فحيثُما سارَ سِرٌّ وإنَّ يقفَ فقِفِ^(١)
إنَّ قالَ ليسَ كمثلِ شيءٍ قلَّ هوَ ذا
أو قالَ لي أعينُ فقلَّ بذا كَلَفِي
شبهه تراه في التشبيهِ حتَّى ترى
منزُهاً أخا تشبيهِ بلا جَنَفِ^(٢)
لا شكَّ أنكَ يومَ الحشرِ تنكرهُ
إذا تجلَّى لجمعِ الخلفِ والسلفِ
وتستعيذُ عياداً منه جهلاً قَيَا
خسارةَ العقلِ يا ويلاه من صُدْفِ
عندي من العلمِ لبُّه وجوهرهُ
والناسَ أعيينهمُ ترنو إلى الصُدْفِ
قد قيَّدتهمُ عوائدُ وثبَّطهمُ
تقليدُ من يمشي نحوَ الظلمةِ السدْفِ^(٣)
فلو وجدتُ له أهلاً لبحثُ به
مستخرجاً كنزَه المحفوفِ بالطُرْفِ
لكنَّ أهله قد مضوا فلا طالبُ
تلقاه يسمُو إلى العلياءِ والشرفِ^(٤)

(١) المقطوعة في "ص"، ص: ٢٤٧ وهي ككل أشعار «المواقف»، مضطربة الوزن.

(٢) فيه معاني سورة الزلزلة، و: دكادك: متساقطة، مهدمة.

(٣) البرزخ: الحاجز بين الشيئين أو ربما أراد ما بين الشك واليقين.

(٤) من قوله تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ غافر ١٦ .

لو حضرت

[.....]

يا صاح إنك لو حضرت سماءنا
وقت انشقاقها حين لا تَمَاسُكُ^(١)
وشهدت أرضاً زلزلت زلزالها
ألقت ما فيها والجبال دكادك^(٢)
ونظرت أرضاً بدلت وسماءنا
وبرزخنا حَلَلْنَا وكل هالك^(٣)
وشهدت صعقتنا والإله قائل
الملك لي اليوم مالي مشارك^(٤)
ثم الأناقة والمهيمن يُلقِي من
آياته ويقول أنت مبارك
لشهدت شيئاً لا يطاق شهوده
وسمعت مالا منه يدرك دارك
وعلمت أن القوم ماتوا حقيقة
فلذا أباح لهم حِمَاهُ المالك

(١) القصيدة في ص، ص: ٢٧٠ ، ٢٧١.

(٢) الصب: العاشق الولهان المحروم.

يا عظيمًا تجلى

[من مجزوء الرمل]

يا عظيمًا قد تجلّى
كلُّ مجلّى له مجلّى^(١)
أنت مبدى كلِّ بادٍ
أنت أبهى أدى أنت أجلى
كلُّ من في الكون أنتم
أنت مولى كلِّ مولى
حسنك الباري تعالى
أن نرى عنده مثلاً
كلُّ حسنٍ مستعارٌ
من جمالٍ قد تدلّى
أيُّ حسنٍ أيُّ حسنٍ
غير حسنٍ قد تعلّى
كنتُ قبلَ اليوم صَبّاً
أسألُ المحبِّوبَ ميلاً^(٢)
فأزالَ السَّترَ عني
فبدأ لي الفـصلُ وصلاً
زادني القربُ احتراقاً
فأننا بالوصلِ أضلّى

(١) البيت والبيتان بعدهما غير مثبتة في "ص".

(٢) البيت غير موجود في "ص".

(٣) البيت والبيتان بعده غير واردة في "ص".

(٤) كذا في الأصل، وأظن الشطر الأول: «وحسان غانيات» وبذلك يصح المعنى والوزن معاً (م).

عَجَبِي مِنْ عَشَقْ نَفْسِي
 مَا أَحْبَبْتُ غَيْرِي أَصْلاً
 لَيْسَ تَشْبِيهِِي وَغَزْلِي
 وَغَزْلِي رَامِي إِلَّا^(١)
 أَنَا سُعْدِي أَنَا سُلْمِي
 أَنَا هَنْدُ أَنَا لَيْلِي
 أَنَا بَدْرُ أَنَا شَمْسُ
 أَنَا صَبْحُ قَدْ تَجَلَّى
 أَنَا نَوْرُ أَنَا نَارُ
 أَنَا بَرْقُ ضَاءِ لَيْلَا
 أَنَا كَأْسُ أَنَا خَمْرُ
 أَنَا أَسَقَى أَنَا أَمْلَى
 كَتَبَ الْعَشَقُ زُبُورًا
 فِي فَوَادِي فَهُوَ يُنْثَلَى^(٢)
 كُلُّ يَوْمٍ كُلُّ حِينٍ
 كُلُّ أَنْ فَهُوَ يُمْلَى
 مَا نَسِيتُ الدَّهْرَ وَقْتًا
 قَدْ تَقَضَّى بِالْمَصَلَى
 بَيْنَ أَنْسِ لِمَهْلَاةٍ
 وَغَزَالٍ قَدْ تَحْلَى^(٣)

وحسنات غانيات
كحيلات ولا كحلأ^(١)
وأسود ضاريات
تصرع الأبطال قتلا
كل ناعمكم لذيد
ونعيم الوصل أحلى
كل بلاوي حقيـر
حيث كنتم بي أولى

(١) الأبيات في "ص"، ص: ٣٠١ وقد أرجعها «صيام» إلى البحر الطويل، ولست أدري كيف وصل بها إلى هذا التحديد غير الدقيق تماماً.

من أكون؟

[.....]

أَيَا أَنَا مِنْ أَكُونُ إِن لَمْ أَكُنْ أَنتَ
وَيَا أَنتَ مِنْ تَكُونُ إِن لَمْ تَكُنْ أَنَا^(١)
مَا بِالْكُمْ قَلْتُمْ إِلَهَ وَأَعْبَدُ
فَكَثَرْتُمْ لَذَاكَ طَاشَتْ عَقُولُنَا
إِذَا رُفِعَتْ مِنْ بَيْنِنَا الْعَيْنَ وَالْأَلْفُ
فَقَدْ رُفِعَ السُّتْرُ الْمَفْرَقُ بَيْنِنَا
وَذَلِكَ حِينَ لَا أَنَا لَكَ عَابِدُ
وَلَا أَنتَ مَعْبُودٌ فَزَالَ حِجَابُنَا

(١) القصيدة في "ص"، ص: ٣١٩ - ٣٢٠ سعاد وعلوا عروستان من عرائس الشعر العربي بعامية والصوفي منه بخاصة، وهما من رموز العفة والنقاء.

يقولون

[من الطويل]

يقولون لا تنظر سعاد ولا علوا
وعد من الآثار واقصد لمن تهوى^(١)
فإنك مكلوم الفؤاد متيم
أخو جنة بل منها داؤك ذا أدوى
وقد ملك الليل البهيم تحرقاً
كأنك ملسوع وحالك ذي أسوا
فقلت أراني ما أرى غير من سبأ
فؤادي ومن قد ضاعف الضر والبلى
نظرت إليه والمليحة تحسبن
نظرت إليها لا ومبسمة الأضوا
ولكن جمال من أحب تبدي لي
فها أنا ذا أبدي إليه به الشكوى
يكلمني بالرمز من خلف ساتر
وما كل ما أملت عيون الظبأ يروى
فلا متكلم سواء مخاطب
ولا سامع إله للسر والنجوى
أخاطبني إياي فيه تحقاً
فأسمعني إياي في ولا غرواً
فيا ويح ما أعلل النفس في الهوى

(١) تنحاً: كان ينبغي أن تكون مجزومة، والرهو: الهدوء والسكون.



ب - قصیدتا المذکرات

— |

| —

— |

| —

وصف رحلته إلى بو (*)

[من الوافر]

إِذَا مَا سَلْتُ عَنْ خَيْرٍ وَخُبْرِي
فإني لنعممة الإله شاكر^(١)
وقد وافيت عزاً في فرئسنا
وليئنا في الأصاغر والأكابر
وعطفنا وانحناء وارتحاماً
يقوي ما رجونا من الأكاسر
فترتجي لذاك سراح سننر
إلى بطحاء منسكها المشاعر
وتكمل كلمة الجمهور عنا
قصصناهم بأبحر زواجر
بشهر محرم جئنا وفوداً
لبابور يجر الماء ماخر
مكثنا أشهراً خمساً ببر
ينيل الضيف جوداً بالأزاهر
ومن أطلون سرننا في قباب
ثمان مثل أبعاد الجواهر^(٢)
إلى فلک على ماء ونار
وجمع الضد يبهت النواظر

(*) القصيدة مضطربة الوزن فبدت الزحافات فيها كثيرة، وتجاوز المباح عروضياً أيضاً وقد عدها مصدر و

المذكرات على أنها قيلت عن مدينة طولون، ومضمونها كما تجلى غير ذلك.

(١) لعل النص «إذا ما سلت عن خبري وخبري»؛ وقول الشاعر «سلت» أي : سألت (م).

(٢) طولون: مدينة فرنسية.

سريناً ليلةً واليومَ كلاً
لِسَيِّتٍ وَمَا بِهَا سَوْءٌ لِمَا كَرُ^(١)
فَسَنَنَهَا مَنْ وَسَى وَمَنْ تَأَسَّى
وَقَاءً لِّلْمَخَاطِبِ وَالْمَخَابِرِ^(٢)
وَمِنْهَا رَكْبُنَا وَاذِيَا زَلَالاً
وَفِي أُسْطُولِهِ عَجْبُ الشَّوَاطِرِ^(٣)
كَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ بِرُجْحٍ حَمْلٍ
وَمَطْلَعُ بُرْجِهَا بَيْنَ الْقُنَاطِرِ
وَفَاقَ بِهَاؤُهَا بِنَسْجٍ وَصُنْعٍ
مَدَارِجَ هَيْكَلٍ تُسَلِّي الْخَوَاطِرِ^(٤)
وَمِنْ بَعْدِ الزَّوَالِ لَهَا ارْتِحَالٌ
لِقِصْطٍ نَوْضِرِيٍّ وَالْعَذْبِ حَادِرِ^(٥)
فَأَرْسَيْنَاهُ فِي نَزْلٍ رَفِيعٍ
وَقَدْ حَمَدْنَا نَزُولَ الْمَصَادِرِ
لَهُ تَلَوُّ تَبَاعٍ لِّلْمَزَايَا
سَجَايَا أَهْلِهَا زَيْنُ النُّوَادِرِ
وَبَعْدَ الْمَعْشِ وَارْتِيَا حِ بَسْطٍ
رَكْبُنَا فِي الْقَبَابِ لَهَا دَوَائِرُ
مَجَاوِزِينَ قَصْرَ أَشٍّ وَطَارِبُ
فَأُحْدَقَ أَهْلُهَا فِي زِيٍّ نَاطِرِ^(٦)

(١) لسيت: مدينة (Sète) تقع غرب مرسيليا، توقف فيها الأمير، وهو متوجه من طولون إلى بو.

(٢) يريد حذاقة قائد الباخرة، ومهارته في اختيار الطريق.

(٣) ربما «قد ركبنا» لاستقامة الوزن.

(٤) لعل «نسجاً وصنعاً» حتى يستقيم الوزن.

(٥) قصطل: مدينة (Castelsaraviv) تقع على ضفة القنال المحاذي لنهر القرون بفرنسا. البيت مضطرب عروضياً.

(٦) أش (Auch) مدينة على نهر الجير تقع جنوب غرب باريس، وتبعد عنها بحوالي (٦٨٠) كلم. والبيت

مكسور عروضياً، (Tarbees) أيضاً مدينة تقع في الاتجاه نفسه من باريس، وتبعد عنها بـ (٧٧١) كلم.

محبة بأضواءٍ تدانوا
بشعل النار منتظرٌ وناظرٌ
وكلُّهم على الإشفاق لبوا
وأعلن بالتودد لا مكابر^(١)
حططنا الرُّحْلَ في وادٍ عظيمٍ
بحافتَيْه رياضٌ زواهرٌ
بقصرٍ مُشرفٍ النزهاتِ يصبو
إلى مصباحٍ "بو" للبوءِ ظافر^(٢)
ولاح لنا به كتابٌ سهلٌ
من الجمهورِ متَّضح البشائرُ
ويرمُزُ بالصراحةِ لاقترابٍ
من التسريحِ والإلهِ قادرٍ
فكمْ أبدتْ لنا من حسنِ جودٍ
مدينةً "بو" ونعم ما تظاهرُ

(١) لعله أراد بـ «لبو» فهو بو (Pau)

(٢) أراد نزوله بمدينة بو (Pau) التي تبعد بـ (٧١٥) كلم عن باريس، وتقع جنوب غربها، وفيها اعتقل الأمير عبدالقادر بعد تولون.

في مدينة طولون

[من البسيط]

أَطْلُونُ أَغْمَرْتَنَا بِالْبَسْطِ وَالنَّعْمِ
أَنْلَتْنَا كَرَمًا بِالْفَضْلِ مَنْفَعِمٌ^(١)
أَطْلُونِ طَلْتُ رَفِيعًا شَدْتُ فِي غَرْفٍ
تَعْلُو عَلَى غَرْفٍ بِالْمَوْجِ مِلْتَطِمٌ^(٢)
أَطْلُونُ قَدْ عَلَتِ الْجِبَالُ مَنَزَلَةً
يَا حَبِذَا الرَّفْعُ مَثْوَى كُلِّ مَنْتَعِمٍ
سَهَلْتُ سَهْلًا فَجَرْتُ أَهْلًا فِي سَمَةِ
بِأَوْجِهِ لِحَسَانِ الْوَجْهِ فِي شَيْمٍ^(٣)
لَهَا السَّمَا حَةُ إِذْ قَدْ زَانَهَا حَوْرٌ
مَمَشَى جَدَاءٍ بِحَضْرِ صَفْرَةِ النَّعْمِ
تُلْهِى بِأَنْعَامِهَا تَسْنِي بِأَجْرَاسِهَا
تُبْدِي مَصَانِعَهَا بِرَوْنَقِ الْهَمَمِ
خَزَانَةُ الْمَلِكِ جَدَا فِي بَنَادِقِهَا
وَفِي فَنَادِقِهَا مَا شَتَّتَ مِنْ زَيْمٍ^(٤)
مَدَافِعُ كُورِهَا تَسْطُو بِمَجْتَرِيٍّ
مَكَاحِلُ زُنْدِهَا بِالنَّارِ مَتَّسِمٌ^(٥)

(١) أطلون هكذا وردت في النص، والصحيح «طلون»، وهو ما يستقيم معها الوزن أيضا، وهي تقع جنوب شرق باريس وتبعد عنها بـ ٨٤٠ كلم، وجه إليها الأمير عندما ود الانتقال من وهران إلى المشرق.

(٢) لعل شد في غرف لاستقامة الوزن.

(٣) الشطر الأول غير مستقيم الوزن.

(٤) الزيم: القطع، والتفرق، أو المكتنر، وربما أراد ما ترغب فيه، وتشتهيه.

(٥) مكاحل جمع مححلة: البندقية (شائعة في الجزائر ومناطق أخرى في المغرب العربي) (م).

كوابسٌ ونِبالٌ والسيوفُ لها
 حدُّ السنانِ ترى كالأنجمِ الرُّسمُ^(١)
 تماثلُ الإنسِ كالحرَّاسِ قائمةً
 من سابغِ الذيلِ أو في الحربِ ملتئمِ^(٢)
 وآلةُ الصنعِ كالِدولابِ تُحرِّكُهُ
 من صاعدٍ هابطٍ للاضطرابِ نمِ^(٣)
 كلُّ الأفنانِ ما الأشجارُ صُورَتْها
 من السلاحِ لذكرِ النخلِ والكرمِ
 والرمزُ منها يقولُ هي منتجةُ
 لنيلِ جمعِ ثمارِ الهضبِ والأكمِ^(٤)
 فهي الوسيلةُ للمقصودِ من ملكِ
 قد عشقَ اللهوَ بباريزَ من خدمِ^(٥)
 تفاخرُ لعبِ الدنيا بزِينَتِها
 تكاثرُ المالِ والأولادِ فاكتتمِ^(٦)
 أبوابُ سلطنةِ القديمِ ناميةُ
 لدى الجديدِ بما يريد من عممِ
 ترنَّقتْ بفؤادِ النَّائِي مملكةُ
 حوتِ فرنسا بها مدائنُ النعمِ^(٧)

(١) كوابس: مسدسات (عامية).

(٢) في الأصل: تماثل، وهو ما لا يستقيم عروضياً.

(٣) للاضطراب نم: صافي.

(٤) الأكم: التلال.

(٥) البيت عدل بحسب ما ذكر مثبتو النص، ولم يوردوا البيت الأصلي في المتن، أو الهامش.

(٦) في الأصل: ولا أولاد، وهو ما لا يستقيم معه الوزن.

(٧) النَّائِي: كذا في الأصل، وهو ما يجعل الوزن مضطرباً، ويصير سليماً بالناء دون الياء.

مراكبُ الفلْكِ في البحارِ ماخرةٌ
 ما بينَ رائِحٍ أو غادٍ مع الأَضَمِ^(١)
 لاحَتْ قلائعُها نارتْ علائقُها
 ضاءتْ مشارقُها بالجَوِّ والعَلَمِ
 فالجِسْمُ ما السَّاجِ والأرواحُ موقدها
 دخائنها السَّرجُ والمهمازُ في كَتَمِ^(٢)
 نعمٌ ومركوبُها يَمُّ مِيادِنه
 للسَّبقِ لا مِثْلُها في طيرٍ أو دُهمِ^(٣)
 تَمَّتْ محاسنُها نَمَّتْ أحاسِنُها
 لو أنَّها أَحَسَّنتْ إلى السُّرِّ احْرُمُ؟
 فتَكْمَلِ الكَرَمَ المسدولَ منها على
 ضيفٍ أتى عانياً يبغي الجِواءَ سمي

(١) عد محققو النص الشطر الثاني مختل الوزن، وهو كذلك لكن بمنع رائح من الصرف كما أثبتنا يصير الوزن مستقيماً، والأضَم: المجتمع.

(٢) ما الساج: أراد من الساج أي أن هيكل السفينة مصنوع من الساج، والمهماز: ما يهمز به، حديدة في مؤخر خف الرائنض، وفيكتم، كذا في الأصل، والأصح: في كتم ليستقيم الوزن.

(٣) الدهم جمع الأدهم، وهو من الخيل والإبل الشديد السُمرة، ومعاني الدهمة في اللغة أكثر ما تدور على السَّواد وما يقاربه (م).

قائمة المصادر والمراجع

— |

| —

— |

| —

قائمة المصادر والمراجع

- ١ - عبد القادر (الأمير) الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط٢، منقحة، دمشق، سورية ١٩٦٧ .
- ٢ - مذكرات، تحقيق: د/محمد الصغير بناني، د/محفوظ سماتي، د/محمد الصالح أّجون، دار الأمة، ط٢، الجزائر ١٩٩٨ .
- ٣ - د. زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق وشرح وتعليق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٨ .
- ٤ - محمد (باشا) ابن الأمير عبد القادر، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، مطبعة المعارف، مصر، بلا تاريخ.
- ٥ - تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق الدكتور ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة، الطبعة الثانية منقحة ومزودة، بيروت، لبنان، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م.
- ٦ - د. ممدوح، حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، شرح وتحقيق، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط٢، مزودة ومنقحة، بيروت، ١٩٦٤ م.
- ٧ - د. محمد ناصر، منتخبات من شعر الأمير عبد القادر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤ .

فهرس الأعلام

١٤١	إبراهيم أدهم
٩٠	أبو النصر الطرابلسي
١٤١	الأحنف
٤٥	الحسن البصري
١١٦	بلال
١٤١	حاتم الطائي
٩٦	حسين
١٧٠	الحلاج
١١٦	حمزة
١١٩	خليل (باشا)
٦٤	داوود
١١٧	الزبير
١٦٦ ، ١٥١	زيد
١٨٧ ، ٦١	سعاد
١٠٣	سعد
١٨٤	سعدى
٩٦	سعيد
١٨٤	سلمى
١١٦	طلحة
١١٣ ، ١١٠	عبد المجيد

١٦٨ ، ٣٦	عبد القادر
١٢٣	عبد الكريم الحمزاوي
١١٦	عثمان
١١٧	عقبة
١٨٧	علوى
١٤٤ ، ١١٦	علي بن أبي طالب
١١٦	عمر بن الخطاب
١٤٤ ، ١١٧	عمرو بن العاص
١٧٠ ، ١٦٧	قيس
١٤٦	كسرى
١٨٤ ، ١٦٧	ليلى
١٤١	محمد الفاسي
١٢٥	محمود الحمزاوي
٩٦	مصطفى
١١٧	معاذ
١٨٤ ، ٦١	هند
٨٤	يوسف

فهرس الأماكن

١٩٢	آش
٩٠ ، ٦٤	بابل
١٩٢	بو
١٩٥	باريز
٤٦	برج العين
١٢٠ ، ١١٩	بروسة
١٣٩	البيت (العقيق)
٣٦ ، ٣٤	تلمسان
٣٦	الجزائر
١٢١	جكركة
١٠٤	حاجر
٤٥	خنق النطاح
٨٧	دارين
١٣١	دمر
١٣٢	الرصفة
١٣٢	شعب بوان
١٩٢	طارب
١٩٢ ، ١٩١	طلون
١٣٠ ، ١٠٤	طيبة
١٠٤	العقيق
١٩١ ، ٣٣	فرنسا
١٩٢	قصطل
١٣٠	قبا
٣٦	المرسى
١١٦	مضر
١٥٣ ، ١٤٥ ، ١١٠	مكة
١٢١	نار باش
١٥٧	نجد
١٣٠	وادي العقيق
٣٦	وهرا

فهرس مطالع القصائد وقوافيها وبحورها

أولها	القافية	البحر	الصفحة
لئن كان هذا الرسم	العظمى	الطويل	٢٩
أبونا رسول الله	قدرا	الطويل	٣٠
لنا في كل مكرمة	رجال	الوافر	٣١
إلى الصون	نداءها	الطويل	٣٤
تسائلني	أحوالي	الطويل	٣٧
يا عاذرا لامرئ	والقفر	البسيط	٣٩
توسد بمهد الأمن	الثوى	الطويل	٤٣
ألا قل للتي	واد	الوافر	٥١
إلام فؤادي	تثور	الطويل	٥٢
فإن كان هذا البعد	شفا	الطويل	٥٣
أود بأن أرى	سار	الوافر	٥٤
أقاسي الحب	ودادى	الوافر	٥٦
جفاني من أم البنين	سجال	الطويل	٥٩
أقول لمحبوب	والبعد	الطويل	٦٠
أحباب قلبي	عن حد	البسيط	٦٣
خليلي وافت منكم	بالخال	الطويل	٦٤
سألت رجال الطب	ذكاء	الطويل	٦٧
أقول لقوم	الأدلة	الطويل	٦٨
أخي	ترغبه	البسيط	٧١
أهلاً وسهلاً بالحبيب	مواسم	الكامل	٧٢
نعم ولكم	الصدر	الطويل	٧٤
خليلي	رضوى	الطويل	٧٥
يا قرّة العين	الحزن	البسيط	٧٦
بني	القلوب	الوافر	٧٧
فدينك	أوجع	الطويل	٧٨

٧٩	الطويل	بالطب	خليلي لا تندم
٨٠	مجزوء الرمل	حالك	يا ملولا
٨١	الطويل	والعطر	سلام عليكم
٨٢	الطويل	الضراً	أما آن للخل
٨٤	البسيط	معانيها	أتت مهنته
٨٦	الكامل	باهر	أحلى المديح
٨٧	البسيط	تزين	بديعة الحسن
٨٩	الطويل	ندُّ	أما والذي
٩٠	الطويل	بقاعه	أثاني كتاب
٩٢	الكامل	حرّاً	أقول على صدق
٩٥	الكامل	السند	يا سواد العين
٩٧	الكامل	دليلاً	الله أعلم
٩٨	الكامل	تجملی	يا أيها الريح
١٠٣	الكامل	خفا	ماذا على سادتنا
١٠٧	البسيط	مددى	يا سيدي يا رسول الله
١٠٨	الطويل	يطير	ألا إن قلبي
١٠٩	البسيط	إقبالاً	الحمد لله تعظيماً
١١٣	البسيط	إعلاناً	يارب يارب
١١٨	المتقارب	في حساب	ولم أر أعظم
١١٩	الوافر	نفيساً	ألا فافر الخليل
١٢٠	الطويل	أرسى	أبى القلب
١٢٣	الوافر	عبد الكريم	فذا ديوان سيدنا
١٢٥	الكامل	علاء	سرح سوادك
١٢٦	الوافر	قدرك	تفضل بالقبول
١٢٧	المتقارب	ما أجمله	خليلي
١٢٩	الطويل	والورد	تبخر بعود الطيب
١٣٠	الطويل	على الخد	تذكرت وشك البين
١٣١	الكامل	النضر	عج بي فديتك

١٣٣	الطويل	تسيل	وناغورة ناشدتها
١٣٤	الطويل	والخل	فلم يكن المولى
١٣٧	الكامل	لا التناس	الحمد لله
١٣٨	الطويل	ذكر	أمسعود، جاء السعد
١٥١	الطويل	العمر	أيا نفس
١٥٢	البسيط	والراح	أوقات وصلكم
١٥٦	الطويل	نيرانا	عن الحب مالي
١٥٨	الرميل	بصفحوا	ليتهم إذ ملكوني
١٥٩	مجزوء الرمل	عبد	أنا حق
١٦٠	الطويل	وأثارا	أردد طرفي
١٦١	مجزوء الرمل	يهون	هن إذا ساعدك
١٦٥	البسيط	كذب	لا تعجبوا
١٦٦	الطويل	حداً	أنا مطلق
١٦٨	الطويل	الحد	أرى الذي أفناني
١٦٩	الطويل	لا أرى	تجلى له المحبوب
١٧٢	الهزج	بلا نور	فيا نوراً بلا شمس
١٧٣		مجبور	أنا أكون
١٧٤		البصر	وما نحن
١٧٥	الطويل	لبس	أمطنا الحجاب
١٧٧	المتقارب	ينفع	أيا حيرتي
١٨٠	البسيط	جرف	يا من غدا
١٨٢		تتماسك	يا صاح
١٨٣	مجزوء الرمل	مجلي	يا عظيماً
١٨٦		أنا	أيا أنا من أكون
١٨٧	الطويل	تهوى	يقولون
١٩١	الوافر	شاكراً	إذا ما سلت
١٩٤	البسيط	منفعم	أطلون

الفهرس

٣	تصدير ، عبدالعزيز سعود البابطين
٥	مقدمة
٩	ترجمة الناظم
١٣	الديوان ونشره
٢٥	جدول الرموز المستعملة في التحقيق
٢٧ - ٤٨	أ - الفخر
٢٩	وراء الصورة
٣٠	أبونا رسول الله
٣١	بنا افتخر الزمان
٣٤	لبيك تلمسان
٣٧	بي يحتمي جيشي
٣٩	ما في البداوة عيب
٤٣	شدت عليه شدة هاشمية
٤٩ - ٦٨	ب - الغزل
٥١	مسلوب الرقاد
٥٢	دموع ونار
٥٣	منوا بلقياكم
٥٤	يتيه بدله عمدا
٥٦	بنت العم
٥٩	جودي بطيف
٦٠	فراقك نار
٦٣	أرضى بطيف خيال
٦٤	ذات خلخال
٦٧	ليس للحب دواء
٦٨	باللحظ تخذش وجنة
٦٩ - ٩٢	ج - مساجلات
٧١	متى ينقلب نحسي
٧٢	أهلا بالحبيب
٧٤	لا يأبى الكرامة إلا
٧٥	نعمة الشفاء
٧٦	يا قرة العين
٧٧	الشوق يكتمه الأريب

٧٨	لا تعجل بلومك
٧٩	لا ندم ولا ملامة
٨٠	يا كثير البعد
٨١	ترك العادة ذنب
٨٢	الجوع يراني
٨٤	زكاة العلم
٨٦	أنا مخلص للود شاكر
٨٧	أنفاس أحبابي تحييني
٨٩	رباط الود مشدد
٩٠	يراع ينفث سحرا
٩٢	لن يبرأ
٩٣ - ١٣٤	د - مناسبات
٩٥	طال ليلي يا أحبائي
٩٧	تحصنت لا خوفا من الموت
٩٨	الباذلون نفوسهم
١٠٣	عذاب الأسر
١٠٧	يا سيدي رسول الله
١٠٨	أعزني قلبا
١٠٩	آمن من حمام مكة
١١٣	توسلات ودعاء
١١٨	نعم الأكرمين
١١٩	بمن أعتاض عنك
١٢٠	غلاء الدار بالجار
١٢٣	كريم من كريم
١٢٥	محامد العلم
١٢٦	هدية وشكر
١٢٧	ما أكمله
١٢٩	عود وورد
١٣٠	مناجاة أحد
١٣١	جنات دمر
١٣٣	الناعورة العاشقة
١٣٤	وليمة الله

١٦١ - ١٣٥	هـ - التصوف
١٣٧	الحمد لله
١٣٨	أستاذي الصوفي
١٥١	غيب
١٥٢	مسكين لم يذق طعم الهوى
١٥٦	أنا الحب والمحبوب والحب جملة
١٥٨	أي واد صبجوا
١٥٩	وحدة الوجود
١٦٠	هو الباطن هو الظاهر
١٦١	كما كنت
١٨٨ - ١٦٣	و - الملحقان : أ - المواقف
١٦٥	حديث عجب
١٦٦	أنا مطلق
١٦٨	الذي أفتاني
١٦٩	تجلي المحبوب
١٧٢	غاية الذي يبغي
١٧٣	حقق الأمر
١٧٤	هويته
١٧٥	أمطنا الحجاب
١٧٧	أيا حيرتي
١٨٠	عابد فكرة
١٨٢	لو حضرت
١٨٣	يا عظيما تجلى
١٨٦	من أكون ؟
١٨٧	يقولون
١٩٦ - ١٨٩	ب - قصيدتا المذكرات
١٩١	وصف رحلته إلى بو
١٩٤	في مدينة طولون
١٩٧	- قائمة المصادر والمراجع
٢٠٠	- فهرس الأعلام
٢٠٢	- فهرس الأماكن
٢٠٣	- فهرس مطالع القصائد وقوافيها وبحورها
٢٠٦	- الفهرس
